

2 me Année, No. 32

Lundi-12-2-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العــــدد ٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٥٢ — ١٢ فبراير سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــــدد

صفحة

فى الأقصـــر . . .

— ٣ —

كان (ترجماننا) الأمى (ضاوى) يشرح للاساتذة الجامعيين والثانويين حديث تحوتمس الثالث مع اخته العاشقة، ووجوه التماثيل الواجمة غرقى فى صمتها الناطق، تتراكم على قسماتها انظار الخليقة، وتجثم على شفاهها اسرار القرون، ورءوس الاعمدة القائمة ناتئة فى اشعة الشمس كالمزولة الهائلة، ترسم بظلالها الوريفة تعاقب الساعات منذ آلاف السنين! وكانت عيناى الحالمتان قد وقفتا على تمثال من تماثيل رمسيس الاكبر، يخطو الى الامام خطى المصمم الواثق، وباحدى يديه مفتاح الحياة يجتاز به موت الساعة الى خلود الأبد

والخلود حلم الفراعنة الدائم وهواهم الملحّ، أخطره ببالهم قبل الناس ما متِّعوا به من فيض الحيوية وخفض العيش ونفوذ السلطان واكتمال اللذة، فلو أنهم عاشوا على جدب من الاقليم، وحرب مع الطبيعة، وهوان على الدهر، لاستشرفت نفوسهم للبلى، واستهلكت عقولهم للعدم

خلّد الله الروح وحاول الفراعين تخليد الجسد! وما يدريك لعلهم كانوا يظفرون بهذا الخلود لو خلى الناس بينهم وبين الزمن. لقد قهروا الفساد والدهر وقهرهم اللص والفاتح! فمنذ خمسة وعشرون قرنا مابرحت يد الانسان

تعبث بهذى الجسوم والجروم ! جرب القدر عليها حقد قمبيز ، وعبث الاسكندر والقيصر ، وورع تيودوسيوس وعمرو ، وزهو المأمون ونابليون ، وعلم مسبيرو وكارتر ، فقطع بعض الرقاب ، وقوض بعض الأنصاب ، ونبش بعض القبور ، ولكن بسمة رمسيس لا تزال كما أراها تناجز الفناء وتعاجز القدر ! ! وأى سبيل بعد ذلك الى بلاها ومسلاتها فى العواصم الاوربية ، ومخلفاتها فى المتاحف الأثرية ، باقية مابقيت الأرض ؟ !

صعد بنا الدليل باب المعبد فى سلم جانبى حديث يقوم عن شماله ، ولو قلت لك البرج بدل البـــاب لقربت اليك وصفه ! فهو سطح عريض من ضخام الجلاميد تكدس بعضها فوق بعض كما ترى فى الهرم ، أشرف من شرقه على مابقى من صخور السقف فوق الأساطين ، وتراءى من النصب خلال الاواوين ، وطعن فى السماء من أسنة المسال ؛ ومن غربه على طريق بين صفين متوازيين من الكباش الرابضة فى حجم البقر ، يسايره النظر والفكر الى مرفأ كان ولا شك ينتهى عنده قبل أن يأخذ النهر من الساحل الغربى ألف متر

فى هذا الطريق كانت تخرج الجنائز الملكية من المعبد الى نهر الحياة فتعبره الى مراقـــدها الصخرية الأبدية فى جوف الجبل ، وفى هذا الطريق كان يسير موكب أمون السنوى الى النهر ، أمامه زُمَر المهرّجين والمشعوذين يدورون على الأرجل ، ويمشون على الأيدى ، بين أخلاط من باعة الفاكهة وشُواة الأوز والبط ، ثم يلى هؤلاء جوقات الموسيقى تصدح بالاهازيج ، وطبقات الكهنوت تعج بالاناشيد ، وحاملو الاصنام والبنود يسيرون بها وئيدا فى خشوع ورهبة ، حتى اذا بلغوا المرفا تقدموا بامون فجعلوه فى فُلْكه الذهبى ، وبالآلهة الأخر فوضعوا كل إله وكل الاهة فى زورق خاص ، ثم يسير الفلك بالاله الاكبر متنزها على النهر ، تتهادى من ورائه زوارق الآلهة على الماء ، وتهلل من حوله جموع الناس على الشاطىء !

من العسير على النفس الشاعرة ان تعيش فى حاضرها بين هذه الاخيلة والصور ! فحيثما ارسلت طرفك اونقلت خطاك وجدت حجرا يكلمك أو أثرا يلهمك ! هذا التمثال الذى نراه أمامك ، أتدرى كم مرة طالعته الشمس ، وكم نظرة نظرته الناس ، وكم وقفة وقفها عليه أقوام من قبلك بعضها للتقديس ، وبعضها للتدنيس ، وبعضها للعبرة ! !

انك لتغرق من هذا الماضى الحاضر فى فيض من التأمل العميق الهادىء ، يقطعك عن الدليل ، ويفردك من الجمع ، فلا تجد — متى عدت لحظة الى نفسك — الدليل الذى كان يخطب ، ولا الحشد الذى كان يسمع ، ولا العربة التى كانت تنتظر !

خرجت فيمن تخلف فى المعبد من الاصدقاء الشعراء وأخذنا نسير الهوينى فى الطريق المرمل حتى أدركتنا فى بعضه عربة اقلتنا الى الفندق

وفى الأصيل المونق من هذا النهار المشرق خرجنا نشهد وداع الشمس الغاربة لأطلال معبد الأقصر

ومعبد الاقصر كذلك أجمة من العمدان الباسقة المتشاجنة نتأت على سيف النهر فى طول ثلثمائة مـــتر بمشيئة آل أمينوفيس ورمسيس الاكبر !

وأول ما يملك عليك عقلك وقلبك فيه منظر يجمع تاريخ الوادى ويختصر أطوار العقيدة : ذلك منظر المسلة فى المعبد ، والبرج فى الكنيسة ، والمأذنة فى المسجد !

تجاورت هذه الثلاثة فى هذا المكان منذ قرون تجاوُر الخصوم اللدّ : لا يَسفر بينها سلام ، ولا تقطع حروبها هدنة !

ومن الغريب المعجز أن تصمد هذه الأوثان لهجمات المسيحية والاسلام ، صمودَها العجيب لعاديات الليالى والأيام ! ..

احمد حسن الزيات

لحـــظات

للدكتور طه حسين

أتعرف هذه اللحظات القصار المفاجئة التي تعرض لك من حيث لم تكن تقدر ان تلقاها كأنما كانت تكمن لك في بعض انحاء الزمان : حتى اذا قربت من مكمنها خرجت عليك بما يملؤها من قوة وحدة ، وبما تستطيع ان تثير في نفسك من حزن عريض عميق أو أمل واسع مبتسم . فوقفتك في طريقك الزمني واضطرتك بعد وقفة قصيرة الى ان ترجع الى الماضي البعيد والقريب تستحضر ما كان فيه من أحداث ، تحس ما ترك في نفسك من ذكرى ، أو تضطرك الى ان تثب وثبة بعيدة الى مستقبل الايام ، فاذا انت تشيد القصور وتتخذ من الخيال احلاماً حلوة تحبب إليك الحياة وتملأ قلبك بالصفح عما جنت عليك من السيئات .؟

أتعرف هذه اللحظات القصار المفاجئة الخصبة التي لم تكن تقدر في وقت من الاوقات انها ستعرض لك او انك ستعثر بها ، ولكنك خرجت ذات يوم من دارك تسعى فيما يسعى الناس فيه من جد الحياة وهزلها : وتبلو ما يبلو الناس في سعيهم من حلو الحياة ومرها ، فاذا لحظة من هذه اللحظات قد سقطت عليك كما يسقط الجدار على الغريب الذي مر به مصادفة وهو يميل الى السقوط . او عنت لك ثم مثلت امامك كما يعن الشيء النفيس لبعض المارة ثم يمثل بين ايديهم حين يصلون اليه ، واذا هم وقوف امامه قد أخذتهم الحيرة ثم غمرهم السرور ؟ أتعرف هذه اللحظات القصار المفاجئة التي يتنشرها لك الغيب ويخفي عليك بوادرها وطوالعها ثم يفجأك بها على غير انتظار ، كما يلقاك الرجل تعرفه أو لا تعرفه فيلقي اليك نبأ من الأنباء لا يرى له خطراً ولكنك لا تكاد تسمع له حتى يحدث في نفسك أعمق الآثار وأقواها ، وأبلغها وأدعاها إلى الحزن والابتئاس أو إلى الفرح والابتهاج ؟

إنك تحسب هذه اللحظات حين تلقاها أو حين تلقاك قصاراً لأنك تحصيها بالدقائق والثواني : وما هي بالقصار لأنها تحمل في وعائها الضيق الضئيل من العواطف والأهواء : ومن الأمل والذكرى ، ومن اللذة والألم : ما يضيق به كثير من الساعات بل كثير من الأيام . انك تحسب هذه اللحظات مفاجئة لانها عرضت لك أو لانك عرضت لها على غير انتظار ولا تهيؤ منها ولا منك وما هي بالمفاجئة . فان قوى أخرى غير قوتك وغير قوتها قد عملت منذ أزمان بعيـــدة في تهيئتك لها وتهيئتها لك ، وفي دفعك اليها ودفعها اليك ، حتى التقيتما عن مفاجأة في ظاهر الامر ، وعن قضاء مدبر وقدر مقدر في حقيقة الامر . واذا كلا كما قد صنع لصاحبه وقدر له تقديرا

هذه اللحظات القصار الطوال المفاجئة المدبرة لا تسنح للناس جميعا ، ولا تسنح للناس في كل وقت ، ولو عرفت وسيلة الى ان أتبين كيف تسنح للناس ومتى تسنح لهم ؛ ولأيهم تسنح لكنت من أكبر المستكشفين والمخترعين . وكيف برجل يفضح سر القدر ويهتك استار الغيب ؟ ! ولكنت بعد ذلك محسنا الى كثير من الناس لأني اعلمهم كيف يتقون كثيرا من الشر ، وكثيرا من الالم اللاذع والحزن المضني للنفوس والقلوب . ومسيئا الى كثير من الناس لأني اعلمهم كيف يفقدون لذات قلما يظفر الناس بمثلها ؛ وكيف يصدهم العلم عن ضروب من السعادة لا ينعم بها الا الجهلاء ، ولحرصت اشد الحرص على ان اجهل هذا العلم واغلق نفسي من جميع أنحائها دون هذه القوانين ، لأني لا أعدل بهذه اللحظات القصار الطوال المفاجئة المدبرة كثيرا من اجزاء الزمن مهما تطل ، ومهما تقصر ، ومهما تمتلئ ، ومهما تفرغ ، واي حزن ممض مرمض يشبه في اللذة المحرقة اللاذعة ؛ وفي السعادة المظلمة القاتمة هذا الحزن الذي حملته الى لحظة من هذه اللحظات في ليلة من الليالي فوضعته في قلبي ثقيلا خشنا شاقا ، ولكنه على ذلك كله حلو ، ولكني على ذلك أحببته وكلفت به . ولكني على ذلك حمدت هذه اللحظة القصيرة المفاجئة التي حملته حتى اذا بلغت قرارة نفسي وضعته فيها هادئة مطمئنة الى من أقصى الزمن ، وأقبلت به متباطئة متثاقلة كما توضع الصخرة الثقيلة في مكان من الامكنة في غير عنف ولا سأم ولا كلال .

كنت مع جماعة من الاصدقاء نشهد التمثيل ونسمع الموسيقى والغناء في الاوبرا . قد فرغنا لما نشهد وما نسمع ؛ وتركنا أعباء الحياة واثقالها جميعا في تلك العربة التي كانت تنتظرنا بالباب ؛ وقد حفظت لكل واحد منا ما إئتمنها عليه من الودائع لترده الينا متى عدنا اليها ، ولم تكن ودائعنا تلك التي إئتمنا عليها العربة وتخففنا منها قبل أن ندخل الاوبرا الا حياتنا اليومية وما فيها من مشقة ولين ؛ ومن مودة وبغض ؛ ومن يأس وأمل ، ومن ألم ولذة ؛ ومن نشاط

وخمود . تخففنا من هذا كله وسللنا نفوسنا منه الى حين كما تسل السيوف من اغمادها ، وخلصنا بقلوبنا ونفوسنا نقية صافية مصقولة كأنها المرآة نعرضها للممثلين لينعكس فيها مايبدعون من مظاهر الجمال الفنى فى التمثيل والغناء . وكنا لانحس الا مانشهد ونسمع ، ولا نفكر الا فيما نشهد ونسمع فاذا وقف التمثيل وتفرقنا فى أبهاء الدار أو لبثنا فى اماكننا لم نتحدث الا بما شهدنا وسمعنا نصفه ونستمتع به ، والا بما سنشهد ونسمع ، نتوقعه ونتنبأ بما سيحمل الينا من اللذة والمتاع . وهل ينبغى أن يدخل الناس دور الفن إلا على هذا النحو ، قد خلصوا للفن من كل شىء ومن ذكرى كل شىء ، وفرغوا للفن لا يشركون معه فى نفوسهم شيئا ، وانى لجالس فى ناحية من نواحى الدار مع أصدقائى نتحدث بما كان فى الملعب ونتوقع ما سيكون ، واذا صوت يخرج أصدقائى ويخرجنى مما كنا فيه .. صوت لم أسمعه منذ أعوام وقد كنت أسمعه كل يوم ، صوت قد بعدت آماد الزمان والمكان بينه وبين سمعى حتى تقطعت بينه وبينى الاسباب ، وحتى كدت أنسى نبراته ، وحتى كنت أفكر فيه تفكيراً بعيداً نائياً حين كان يحدثنى عنه المتحدثون . ثم دنا هذا الصوت ودنا ، ثم امتدت يد فامتدت اليها يدى . ثم كانت مصافحة ثم كانت تحية . ثم كان استئذان فى الجلوس ، واذن به ، ثم كان وجوم من صاحب الصوت ، ووجوم ممن كان يبلغه الصوت لم يطل ، ولم يكن من اليسير أن يلحظ ، ولكنه مع ذلك كان طويلا ثقيلا . ثم كان حديث قصير فى أشياء لا تغنى ولا تفيد ولا تدل على شىء ، ثم شرب القهوة واحراق السيجارة ، ثم تحية الوداع ، ثم الافتراق .

لست ادرى اذاق اصدقائى لذة التمثيل بعد ذلك ام شغلوا عنه ؟ اما انا فاعلم انى لم اذق التمثيل بقية الليلة طعماً ، انما كانت الاصوات تبلغ اذنى ثم لاتصل الى نفسى وانما تقف من دونها وقوفا لأنى كنت افكر فى غير التمثيل ، ولأنى صرفت عن الغناء والفن صرفا ، لم دنا الى هذا الصوت ، وكان قد بعد وأمعن فى البعد ؟ لم امتدت الى هذه اليد وكانت قد قبضت عنى قبضاً ؟ لم أتصل الحديث بين صاحب الصوت واليد وبينى وكانت قد انقطعت بينه وبينى الاحاديث ، بل كانت قد انقطعت بينه وبينى الصلات إلا أن نضطر اليها اضطرارا حين تجمعنا المجامع ، أو نلتقى على غير موعد ولا انتظار . ثم لانستطيع ان يهدى بعضنا الى بعض ماينبغى من الاعراض فى مثل مانحن عليه من الجفاء . لم دنا الى هذا الصوت ؟ ولم امتدت الى هذه اليد ؟ ولم اتصل بيننا هذا الحديث ؟ لقد كان الحياء يترقرق فى هذا الصوت الذى كان يدنو الى ماخوذا حزينا ولقد كان الحياء يضطرب فى هذه اليد التى كانت تصافحنى مترددة مرتعشة بعض الشىء . ولقد كان الحياء يملأ هذا الحديث فيضطره الى الفراغ مما يغنى أو يفيد . ومع ذلك فنشهد الله ماشككت فى أن هذا الصوت قد دنا الى صادقا ، وفى أن هذه اليد قد امتدت الى صادقة وفى أن هذا الحديث قد اتصل بيننا خالصا من كل رياء .

وارحمتاه للناس ! ان الضعف الانسانى ليحمل نفوسهم آلاما ثقالا . وارحمتاه للناس ! انما فى الحياة من اعراض زائلة ترغبهم فى الخير العاجل ، وتخوفهم من الشر العاجل ، لتحمل نفوسهم آلاما ثقالا . وارحمتاه للناس ! ان أجسامهم لتطغى على نفوسهم وان أهواءهم لتطغى على عقولهم ، وان منافعهم لتنسيهم حقوق الصداقة والصديق ، وارحمتاه للناس ! ان رهبة السلطان والرغبة فى جاهه والحرص على قرب المكان منه لتفسد عليهم من لذات الحياة الخالصة الصافية مالاينبغى ان يفسد ، وارحمتاه للناس ان لهم على هذا كله لنفوسا لم تطبع على الشر ، ولم يحل بينها وبين الخير ، وان هذه النفوس التى تضعف حتى تتورط فيما لاينبغى لها ، لتختلس الفرص الى القوة والخير اختلاسا ، وتختطفها اختطافا ، وتنعم منها باليسير الضئيل فى اللحظة القصيرة المفاجئة ، لم تكن تنتظر ولم يكن يدبر السعى لها تدبيرا ، وانما سنحت فاقتنصت كما يسنح الصيد وتمكن منه الفرصة فيقتنص . وارحمتاه للناس ! لو علموا ان منافع الحياة واعراضها واغراضها ومافيها من رغبة ورهبة ، ومن مكانة وجاه لاتزن كلها لحظة قصيرة مفاجئة يصفو فيها الود ، ويخلص فيها النصح ، ويفرغ فيها الصديق للصديق ، لغيروا من حياتهم ومن سيرتهم الشىء الكثير .

عرضت لى هذه اللحظة القصيرة المفاجئة فى ليلة من ليالى الاوبرا ، وما أكثر ماتعرض هذه اللحظات القصار المفاجئة لكثير من الناس فى هذه الايام السود ، فاللهم ارفع عن الناس مقتك وغضبك واللهم هىء للناس حياة لايخاف الصديق فيها لقاء الصديق ، ولا يختلس الصديق فيها لقاء الصديق ، ولا يقطع الصديق فيها اسباب الود والحب ، لالشىء الا لأنه يخاف بأس السلطان او يرجو رضى السلطان .

طه حسين

جريمة . . .

للدكتور محمد عوض محمد

— ١ —

فى صباح يوم من تشرين الأول كان الضباب ضاربا بجرانه على شوارع (ليفربول) . فلا تكاد العين أن تستبين السبيل إلا عن كثب . . والمصابيح لم تزل موقدة كأنما حسبت أن الضباب بقية من الليل ، وان النهار لم يطلع بعد . . .

فى تلك الساعة الباكرة أخذ الشطر العامل من أهل المدينة يتحرك ، وجعلت الأبواب تتثاءب ؛ فيخرج منها العمال أفواجا ، ينشدون عملهم ويجرون وراء خبزهم وزبدهم — لأن العامل فى مصر قد يقنع بالبحث عن الخبز ؛ أما هناك فلا بد له من الخبز والزبد .

هذه الحركة الباكرة فى بعض أحياء المدينة قد تلاها سكون ؛ لأن الشطر الثانى من المدينة لم يستيقظ بعد . . وكأنما كانت الحركة الأولى بمثابة الفجر الكاذب ، أضاء لحظة ، ثم ساد من بعده الظلام . — ولكن سرعان ما انقضت ساعة الهدوء هذه ، وأخذ ذلك الغطاء الكثيف من الضباب يرق شيئا فشيئاً . وبدا فى أقصى الشرق على الأفق شىء غامض مبهم يدعونه فى تلك البلاد الشمس . . ولقد تستطيع العين المصرية — بشىء كثير من المران — أن ترى فيه من الشمس شبها ، وأن له بها صلة .

وبعد لأى ، تثاءبت الابواب فى الاحياء الوسطى ، وخرجت منها أفواج من الحضريين (البورجوا) الذين يشتغلون فى دور التجارة . فيعملون بها ساعات قلائل ، ولكن أجرهم أعلى ، ومقامهم فى المجتمع أسمى . وهم أيضا ينشدون الخبز والزبد . ولكنهما من صنف أرق وأرفه من خبز العمال وزبدتهم .

* * *

وهكذا تحركت فى المدينة أحياؤها السفلى والوسطى ، ولم يبق مغموساً فى عسل الرقاد سوى أحياء (العاطلين) ، الذين يعيشون من أموال تأتيهم من وراء البحار : من الهند ومن استراليا ومن سائر أنحاء الدولة التى لا تغرب الشمس عليها . . هؤلاء لا يبحثون عن خبز ولا زبد ، بل يأتيهما الخبز والزبد طائعين يجرران الذيول . . .

وليس يعنينا اليوم من أمر هؤلاء شىء ، وإنما تعنينا الآن تلك الأحياء الوسطى التى لم يكد أبناؤها وبناتها يخرجون ... كل الى عمله ، حتى فتحت الأبواب مرة أخرى ، وخرجت من كل باب امرأة تَصف فى ثياب رثة زرية ، وهى تحمل فى يمينها خرقة بالية ، وفى يسارها سطلا فيه ماء دافىء .

هؤلاء النساء لسن بخادمات كما قد يتبادر الى الخاطر العَجِل ، بل إن كلا منهن ربة دار ؛ وصاحبة الامر والنهى فيها . وهى تنتظر ريثما يخرج من بالدار من بنين وبنات ؛ ثم تأخذ فى الجد والعمل ؛ من غسل وطهى وخبز وعجن ، ولا تكاد تهدأ ساعة من الصباح الى المساء ، بادئة عملها حيث يجب أن تبدأه : من عتبة الدار ودهليز البيت . . . ولقد تجد الواحدة منهن فى غسل العتبة لذة خاصة ؛ ولعله أحب الاعمال جميعاً اليها . . لانه يتيح لها فرصة قد تكون الوحيدة فى كل يوم لان تتحدث الى جارتها ؛ وتقص عليها من كل شىء ، بل ومن عدة أشياء أخرى . . .

وفى هذا اليوم من تشرين الاول خرجت السيدة نلسن من المنزل رقم ١٥ فى ساعة باكرة ، وأخذت تمسح عتبتها فى شىء كثير من النشاط ؛ لكنه كان نشاطا يشوبه القلق والاضطراب ؛ وكانت من آن لآن تنظر الى منزل جارتها السيدة هرفى صاحبة المنزل رقم ١٧ ، وكأنها تود بفارغ الصبر لو خرجت هذه السيدة لمسح عتبتها ؛ كى تحدثها فى الامر الذى أهمها وأزعجها ؛ والذى كانت ترتعد من أجله الخرقة التى بيمينها . والسيدة هرفى هذه أرملة ورثت عن زوجها منزلا يفضل عن حاجتها وحاجة أسرتها ؛ فكانت تسعى فى تأجير شطر منه لقاء مال يسير تستعين به على تكاليف الحياة . ولم تكن جارتها ترى فى هذا بأساً ؛ مادام نزلاؤها رجالا ذوى فضل . لكنها لاحظت بالامس من خلال النافذة رجلا أسود الوجه خارجا من المنزل رقم ١٧ : فما شكت فى أنه النزيل الجديد ، الذى تريد السيدة هرفى أن تؤويه فى دارها . . . . ياعجبا لهذه المرأة التى لا تتورع من الخروج على كل عرف ، وانتهاك كل حرمة . والنزول بهذا الحى الراقى ، وهذا الشارع الطاهر ، إلى الدرك الاسفل . . . ماذا يكون مصير هذا الحى يوم يرى سكانه هذا الاسود رائحاً غادياً ، بوجهه المزعج وسحنته المنقلبة ؟ . . ان العاقبة

ستكون من غير شك وخيمة والمصير أليما . فلن يلبث سادة الحى وأشرافه حتى يهجروه وينأوا عنه ؛ لكى لا تقذى أبصارهم برؤية هذا الوجه الكريه . . . ان وجها واحداً من هذه الوجوه السود لكفيل بأن يلوث حياً بأسره ، وأن ينغص على أهله صفاء الحياة وطيب الرقاد . . . . والويل لفتيات الحى ان صادفن هذا الوجه المنحوس فى ليلة حالكة الظلام ، عند أوبتهن من المرقص أو المسرح : إن الرعب الذى يستحوذ عليهن فى تلك اللحظة لخليق بان يورثهن سقما يلازمهن مدى الحياة . . . كلا . . ان السيدة هرفى — مهما كان حبها للمال — يجب أن تعلم أن مثل هذا الشىء لا يجوز . . . ومن حسن الحظ أن الفتى لم يأت بأمتعته بعد . . . ولم يزل فى الوقت متسع لمنع هذه الكارثة من أن تلم بهذا الحى الآمن المطمئن ، ولئن كانت السيدة هرفى قد نسيت ماعليها من واجب تلقاء الحى وأهله ، فأحرى بجارتها مسز نلسن أن تريها الرشد من الغى ، وأن تردها عما هى سائرة اليه من الوبال . . . .

ولم يطل بها الانتظار ، بل فتح باب المنزل رقم ١٧ وخرجت السيدة هرفى ، وهى فى نهاية العقد الخامس من العمر ؛ وفى يمينها خرقة كبيرة وفى يسارها سطل كبير . ثم بدأت جارتها بالتحية .

— عمى صباحا ، مسز نلسن ، عمى صباحا

— نعم صباحك ، مسز هرفى

— ان الهواء دافىء صحو ، والشمس مشرقة فى السماء . أرجو أن تكونى بخير

— انك خرجت اليوم متأخرة على غير عادتك

— أجل ، لقد كان لدى اليوم عمل كثير ، وكان على أن أعد الحجرة السفلى ، والغرفة الامامية من اجل ضيفنا الجديد . فانه سيأتى بامتعته قبل الظهر بساعة وقد يبقى بالمنزل الى وقت الغداء .

— أتعنين إذن انك رضيت بذلك الزنجى الدموى نزيلا عندك ؟

— هل أنبأك بأمره أحد ؟

— رأيته أمس من خلال النافذة خارجا من باب بيتك ، ففتحت عينى من الدهشة ، وأنا لا أكاد أصدق ماأراه . وخشيت ان تكونى قبلت ان تسكنيه بيتك . والآن قدصدقت أسوأ ظنونى فبالله ياصديقتى ، إلا تدبرت الامر قليلا ، قبل أن تنزلى بهذا الحى الآمن هذه النكبة الفادحة

— وأى نكبة فى هذا ؟ ان للفتى حجرته يجلس فيها ، وغرفته ليرقد فيها ، ولن يكون له سبيل الى أحد من الحى ، ولا لسكان الحى سبيل اليه . فهونى عليك فليس فى الأمر مايدعو لكل هذا الاهتمام . .

— اللهم لطفا . . ! إنك لاتبالين — اذا ظفرت بالمال الذى تبغين — أن يشقى الحى وأهله برؤية هذا الزنجى الكريه المنظر ،

— إنه ليس بزنجى ، بل هو مصرى .

— وما الفرق بين هذا وذاك؟ أوليسوا جميعاً من أهل آسيا ؟

— لست أدرى أية آسيا تعنين . . . غير أنى حادثت هذا الشاب ، فرأيته يتكلم بلساننا كأحسن أبنائنا . ورأيت فى حركاته وسكناته ماينم عن حسن الأدب و كرم المحتد .

— ذاك لعمرى العسيل الذى يخفى السم الزعاف . وكأنما نسيت ذلك الهندى الزنيم الذى كان نازلا فى بيت مسز براون . لكم كانت تكرمه الأم وتجله ، وتسمح له أن يصحب ابنتها دورا الى بيوت الرقص واللهو . فكان جزاؤها أن خان الأمانة وخفر الذمة ، ثم اختفى من المدينة فلا يعرف له أحد مستقرا ولا مقاما .

— ماأحسب الناس أشرارا كلهم ، وفى أبنائنا البيض من يرتكب ماهو شر مما ارتكبه الهندى . وعدا هذا فانى ليست لى ابنة فأخاف عليها ، وقد زوجت بناتى جميعا ، ولله الحمد .

— ونحن ؟ أما تحسبين لنا ولبناتنا حسابا ؟ انك من أجل بضعة الجنيهات التى سينقدك إياها لاتبالين بنا ولا بما قد يحل بنا ولا بالحى ومايدنسه ويحط من شأنه .

— لكنى قد وعدت هذا الشاب ان اسكنه الحجرة السفلى والغرفة الأمامية ، ولابد أن أبر بوعدى .

— ياللهذى السذاجة البديعة ! كأنما يفهم هؤلاء السود ماالوعد وما الوفاء بالعهد ! . . . ولقد كان ذلك الهندى شديد الوفاء لدورا المسكينة يوم تركها فى تلك الحال الأليمة ، واعتصم بالفرار !..

وفى هذه اللحظة خرجت الجارة الأخرى من المنزل رقم ١٩ وانضمت الى جارتيها وانتقل الحوار من الحديقة الى داخل المنزل وقد صحت نية الجارتين الا تتركا صاحبتهما حتى تذعن لرأيهما ، وتنزل عند إرادتهما .

— ٢ —

فى صباح ذلك اليوم من تشرين الاول استيقظ (حسن) من رقاد كان مملوءا بالأحلام . . . وكانت أحلامه عن مصر وعن بمصر ،

وعن منزله المطل على النيل ، حيث خلف والدين آلمهما فراقه ، وأحزنهما أن سيكون بينهما وبينه هذا البحر الفسيح وهذا البر العريض ، وأن يهزهما اليه الشوق ، فلا يستطيعان اليه سبيلا ، ويحترق الصدر وجدا وهيهات الشفاء … فى هذه الليلة رأى حسن اخته فى المنام ، ولقد غادرها فى مصر حليفة السقم . . أما اليوم فقد ابتسمت اليه حين رآها ، وطلبت منه أن يعود اليها رجلا عظيما … عجب كيف حالهم اليوم ، وهل يختلف الجديدان عليهم بالسعادة والنعيم ، أم بالشدة والشقاء ؟ … وهل اعتادت الأم فراق الابن الوحيد ، الذى لم يفترق عنها منذ أن رزقته بعد يأس ، فكان قرة العين ، وشفاء ما بالصدور …

وها هو ذا قد اضطر لأن ينزح عن داره ، وأن ينزل هذه المدينة الداوية الصاخبة ، وقد التحق بجامعتها ، وأخذ يجد فى طلب العلم ومضى عليه تحت هذه السماء الرمادية اللون أسبوعان ، لم يكتسب فيهما صديقا جديدا ، ولم يحاول أحد أن يتعرف به أو يتقرب اليه . . كان كذبا ما زعمه المتشدقون من أصحابه فى مصر : أن الناس فى هذه البلاد يقبلون على الغريب ، ويجدون فى إرضائه واكتساب صداقته . . لقد كان الناس يجيبون على سؤاله اذا سأل بجواب هادىء قصير ، لا يحمله على المضى فى الحديث . بل سرعان ما أشعر أن بينه وبينهم سورا غليظا وعرا ؛ هيهات له أن يجتازه . ولم تطل به الحال حتى اعتاد أن يقابل البعد بالبعد والصد بالصد … وهكذا أمسى وأصبح وحيدا غريبا ، وسط هـذا المزدحم الزاخر من الناس

واستيقظ فى صباح هذا اليوم ونهض من فراشه فى شىء من النشاط . . وكان ذاك آخر أيامه فى هذا (البنسيون) الذى قضى فيه هذين الأسبوعين ، وكان عليه اليوم أن يبادر باعداد حقائبه وجمع ما تناثر من أمتعته . وكان مغتبطا ناعم البال ، لأنه وفق أخيرا الى هذا المسكن الجديد فى المنزل رقم ١٧ . . فمنذ اليوم سيكون له حجرتان : حجرة يجلس فيها ويطالع أسفاره ويتناول طعامه . والأخرى لنومه وراحته . ولقد كان من حسن الطالع ان غرفة نومه تطل على تلك الحديقة الغناء ، فيستطيع أن يطالع من نافذته ابتسام الربيع وقهقهة الصيف ، وهدوء الخريف ووجوم الشتاء … أما هذا البنسيون فى (اكسفورد ستريت) فلم يكن له فيه سوى غرفة صغيرة ، ولم تكن إقامته فيه إلا ريثما يتحول عنه . . ومع هذا فان صاحبته اليهودية لم يرضها منه أن يغادر البنسيون ؛ فلم تكن تلقاه — منذ علمت قرب انتقاله — إلا عابسة غاضبة ، فكان أنفها البارز الحدب ينتفض ويضطرب ، وعيناها البراقتان يتطاير منهما الشرر ، إذا طلب قليلا من الماء الساخن ليستعين به على حلق لحيته . . والويل له إن تخلف عن موعد الطعام قليلا : فانه كان يجد المائدة قد رفعت ؛ فاذا نظر الى ما حوله ألفى وجوها عابسة تنذره بالشر المستطير إن هو حدثته نفسه بالحصول على شىء من القوت الذى فاته . . فكان يؤثر الصمت وينسل الى غرفته فى سكون وهدوء

ان هذا الاضطهاد العجيب كثيرا ما كان يضحكه ؛ وكثيرا ما سأل نفسه أيمكن أن تقسو عليه هـذه اليهودية كل هذه القسوة لا لسبب سوى أنه يؤثر أن يسكن فى ظاهر المدينة حيث الهواء الطلق والسكون الشامل ؟ إن أحد الناس أخبره فيما بعد أن هـذه اليهودية لم تظلمه ولم تضطهده إلا لكى تثأر منه : لما جناه أجداده الفراعنة فى الزمن القديم على بنى اسرائيل ، حين كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم … وكثيرا ما أغرب حسن فى الضحك كلما خطر له هذا الرأى الظريف …

ومهما يكن من أمر ، فان هذا اليوم من تشرين الأول هو آخر أيام الاضطهاد وأول أيام الحرية . فلن يطالبهم اليوم بالماء السخن : واذا قدم اليه الشاى باردا والبيض فاسدا فى طعام الفطور ، فانه لن ينبس بكلمة … ثم أخذ يعد أمتعته ويحزم حقائبه . وقبيل الظهر بساعة كان قد أعد العدة للرحيل …

ومشى على استحياء الى ربة المنزل ، فحيته فى تكلف وفتور . أما هو فابتسم لها ابتسامة ظنها ابتسامة الظفر ؛ وقدم لابنتها الصغيرة (ساره) صندوقا جميلا مفعما بالحلوى ؛ ونفح الخادم بضعة شلنات أنطقتها بالشكر .

ثم انطلقت به السيارة وبأمتعته وحقائبه تلقاء ذلك المنزل ، رقم ١٧ المطل على الحديقة الغناء ؛ وصدره مملوء غبطة لم يحس مثلها منذ نزل على ضفاف (المرزى) وأخرج من جيبه مرآة صغيرة فأصلح الرباط الذى يحيط بعنقه ، والذى تزعزع كثيرا أثناء نقله لحقائبه من الغرفة العليا الى التاكس . .

لم يكن حسن قبيح الصورة ، ولكنه من غير شك كان أسمر

اللون . وقد أخذ يحس احساسا مبهما أن هذه السمرة قد تكون من جملة الأسباب التي أغلقت دونه أبواب القلوب ... لكنه كان بعد في شك من هذا الأمر .. ولم يكن قد وقر في نفسه بعد وأصبح عقيدة راسخة ... فكان في يومه هذا باسما مستبشرا .

هاهي ذي السيارة قد وقفت لدى المنزل رقم ١٧ ! وقد أوشك أن يقلب صفحة جديدة من صفحات حياته ... فلتنتظر السيارة قليلا ريثما ينزل ويستأذن أهل الدار في الدخول .. ثم يأخذ في دق الجرس .... عجبا ليس من مجيب ... إن السيدة قد ذهبت - دون شك - الى بعض شأنها وليس بالدار أحد ... فلينتظر قليلا ... ولكن ... أي شيء هذا ؟ .. ان النافذة تفتح وهذه مسز هر في نفسها .. ولكنها تنظر اليه بوجه عابس متجهم ... إنها تبدى أسفها الشديد لأنها لاتستطيع أن تقبله في منزلها .... أجل ... ولا يهمها أن تكون قد سبقت كلمة منها اليه .. إنها لا تقدر أن تؤوى لديها أحداً من أهل آسيا ، فليرجع بسلام ..

آسيا ؟ ولكنه ليس من أهل آسيا ... إنه من أهل مصر !

سيان لديها ، من أية الجهات مصدره ، مادام أهل الحى لا يروقهم شكله ومنظره .. فليرجع الى أحد فنادق المدينـــة فانهم سيرحبون به هناك . أما منزلها هذا فليس إليه سبيل ...

ويطأطىء حسن رأسه ويمشى الى سيارته مطرقا واجما . ويهمس في أذن السائق اسم أحد الفنادق ويرتمى في مقعده مجهداً متعبا . وتحين منه التفاتة الى يديه وبشرته السمراء ، فيدرك أن في العالم بعد جريمة هائلة دونها كل اثم وكل جرم ، وأنه — ويا للاسف — لا سبيل الى الخلاص منها ، ولا الى الابتعاد عنها ...

فضائح المالية العليا في فرنسا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

تشغل فرنسا منذ أسابيع باحدى هذه الفضائح المالية الكبرى التي لا تقف آثارها عند اختلاس مئات الملايين ونكبة آلاف الضحايا ، ولكنها تتغلغل في جميع نواحي الحياة العامة ، وتثير في الشعب روحاً جديداً من السخط والريب في سلامة النظم القائمة التي تحدث في ظلها أمثال هذه الفضائح المروعة . والحادث الذي نعنيه هو فضيحة ستافسكى التي يتتبع الشعب الفرنسى ، والرأى العالمي تفاصيلها وتطوراتها بمنتهى الدهشة ، والتي كان من خطورتها وفداحة آثارها أن سقطت وزارة مسيو شوتان بعد أن حاولت عبثاً أن تغالب العاصفة وأن تهدىء روع الرأى العام .

ولا بد قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الحادث العجيب أن نشير الى أن هذه الفضائح المالية الكبرى لم تبق في عصرنا حوادث شخصية أو فردية يسأل عن تدبيرها أفراد معينون ، وتحصر نتائجها وآثارها في حدود معينة ، بل غدت بالعكس ظاهرة بارزة في سير المالية العليا ، وظاهرة من ظواهر الحياة العامة حيثما تبلغ النظم الاقتصادية ذروة التعقيد والتقدم . وتقع في جميع الأمم الأوربية من آن لآخر حوادث من هـــذا النوع ، وتحدث دائما آثارها السياسية والاجتماعية : ولكن هنالك حقيقة واضحة : هي أن هذه الحوادث تكثر في فرنسا بنوع خاص وتمتزج امتزاجا قويا بحياتها العامة ، وتتخذ فيها صوراً هائلة مثيرة ، وتلقى دائما سحباً من الريب على كثير من الرجال المسئولين . ونستطيع أن نمثل لذلك بأمثلة عديدة من حوادث العصر الحديث ؛ من ذلك فضيحة شركة باناما التي أسسها فردينان دى لسبس سنة ١٨٨١ لتقوم بحفر قناة باناما ، ثم انهارت دعائمها لأعوام قلائل بعد أن اتسعت أعمالها اتساعاً هائلا وكثرت قروضها وعجزت عن الوفاء بتعهـــداتها ، وكشف التحقيق القضائي عن اشتراك كثير من النواب والشيوخ في أعمالها والدعوة الى تعضيدها اشتراكا مريبا ، وأحيل بسببها وزير سابق وبعض الشيوخ على محكمة الجنايات سنة ١٨٩٢ ،

وقضى على الوزير بالسجن . ووقعت فى أوائل هذا القرن بفرنسا عدة فضائح مالية أخرى ، بيد أنها لم تكن بمثل هذه الخطورة . ووقعت منذ أعوام قلائل فضيحة « الجازيت ده فرانك » التى اتهمت فيها مدام هانو الكاتبة الصحفية باختلاس مئات الملايين ، واتهم فيها عدد من أكابر الصحفيين والكتاب بالمعاونة فى التستر على مشاريعها المريبة والترويج لها فى صحف كبيرة محترمة . ثم وقعت منذ ثلاثة أعوام فضيحة شركات أوسترك فكانت من أعظم الكوارث المالية التى عرفت ، حيث أفلست من جرائها عدة بنوك كبيرة واختلس نحو مليار فرنك (يومئذ نحو عشرة ملايين جنيه) ، وألقيت بسببها ريب خطيرة على وزيرى المالية والحقانية وادارة بنك فرنسا ، وانتهت بسقوط وزارة مسيو تارديه (أواخر سنة ١٩٣٠) ، وقد كان أوسترك بطل هذه الكارثة خادما فى مطعم ثم انتهى الى صف أعظم رجال المال وأسس بنوكا وشركات عديدة قامت على التزوير والنصب والدعوة ، ونكب انهيارها مئات الالوف من أصحاب الودائع ، وكان كل جزائه بعد تحقيقات طويلة معقدة أن قضى عليه بالحبس عاما واحدا !

وليست فضيحة ستافسكى التى تشغل فرنسا اليوم الا مثلا جديدا مروعا يؤيد هذه الحقيقة . فهى كسابقاتها تقوم على اختلاس مئات الملايين ، ونكبة مئات الالوف ، وهى كسابقاتها تلقى كثيرا من الريب الخطيرة على الرجال المسئولين ؛ وقد سقطت بسببها وزارة قوية تستند الى أغلبية كبيرة فى البرلمان . بيد أنه يمكن أن يقال ان هذه الفضيحة الجديدة تفوق سابقاتها فى التغلغل الى صميم النظم والحياة العامة ، وفى التدليل على فسادها ، وفى آثارها السياسية والاجتماعية . وقد شهدنا نتائجها الاولى فى سقوط وزارة مسيو شوتان وقيام وزارة مسيو دلادييه ، ولكن من الصعب أن نتنبأ الآن بما يمكن أن يتلو هذا الانقلاب الاول ؛ خصوصا وان الفضيحة مازالت تتمخض كل يوم عن حوادث واسرار جديدة ، وما زال الرأى العام يضطرم سخطا ودهشة ، ويتطلب اجراء العدالة بمنتهى القسوة واصلاح هذا الفساد الدفين بسرعة حرصا على سلامة النظم الجمهورية ، وتوطيدا للثقة العامة التى زلزلت أركانها .

***

ولنر الآن ماهى هذه الفضيحة المروعة التى تقيم شعبا بأسره ولنر من هو ستافسكى هذا الذى غدا بطلا لنكبة مالية من أعظم نكبات العصر .

ان هذه الشخصية المدهشة : شخصية - ستافسكى - مازالت تبدو خلال التحقيق الذى تقوم به عدة جهات قضائية وادارية لغزا مغلقا ؛ وكان مصرع ستافسكى او انتحاره عاملا فى ازدياد هذا الغموض ؛ فمن جهة نرى ستافسكى الفتى الانيق الجواد الذى ينثر المال اينما حل بسخاء لم يسمع به ، ورب الاسرة الوفى الذى يعبد زوجه وولديه ؛ والمالى الذكى الساحر الذى لا يفتر نشاطه والذى يتقدم كل يوم لانشاء مشاريع وشركات مالية جديدة ظاهرة القوة والنجاح . اذا بنا نرى من جهة أخرى ذلك الأفاق البارع الخطر الذى لا يفتأ يرتكب جرائم التزوير والنصب والاختلاس تباعا ، والذى يحيط نفسه بعصابة مريبة من كبار المزورين ، ويشترى ذمم جميع الرجال المسئولين الذين يوجدون فى طريقه ويستخلص لنفسه مئات الملايين من أموال الارامل واليتامى وصغار المودعين ، ثم ينفقها على ترفه وبذخه المجرم دون ضمير ولاوازع ، ونرى آثار مشاريعه الخيالية الجهنمية تتغلغل فى صميم المالية العليا والحياة العامة ، ونرى اعين السلطات والمحققين تغضى عن تتبع جرائمه مع العلم بها ؛ تلك هى شخصية ستافسكى .

ولد سرج الكساندر ستافسكى سنة ١٨٨٦ فى سبود كامن اعمال روسيا ؛ ونزح الى فرنسا بعد الحرب وتجنس بالجنسية الفرنسية ، وبدأ حياته المالية فى باريس وسيطا فى تجارة الجواهر والحلى . ثم نشط الى تأسيس الشركات المالية المختلفة ، فاسس شركة لصنع اللحوم المقددة ، وأخرى للسينما ، وثالثة لبيع بعض الاجهزة الطبية وهكذا : ولكن هذه الشركات كانت مريبة ، ولم تكن سوى ستار لسلسلة من جرائم التزوير والنصب ارتكبها ستافسكى ، واستولى بواسطتها على ملايين عديدة . وكانت اعظم وسائله اذ ذاك تزوير قيم التحاويل المسحوبة لاذنه . واستطاع بهذه الوسيلة أن يحصل خلال سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٦ على ستة ملايين فرنك ؛ وهنا اكتشف امره وصدر الامر بالقبض عليه بناء على عدة شكاوى قدمت فى حقه من البنوك ، فاختفى مدة ولم يستطع البوليس ان يقبض عليه الا بعد اشهر . وقضى ستافسكى فى الحبس الاحتياطى حينا ثم استطاع ان يحصل على قرار بالافراج عنه ريثما تتم المحاكمة . وقدم الى المحاكمة بتهم النصب والتزوير والاختلاس مع آخرين . ولكن هذه المحاكمة

تم قط منذ سنة ١٩٢٦ ، ولازالت حتى اليوم معلقة للنظر أمام محكمة الجنح . وكانت مدى اعوام ثمانية تؤجل فى كل مرة الى آجال طويلة لاتفه الاسباب ؛ وظهر فيما بعد أن ذلك يرجع الى نفوذ ومؤثرات معينة ، وأن الأفاق استطاع أن يؤثر عن طريق أصدقائه الأقوياء على سير القضاء. كما استطاع أن يؤثر فى عمل البوليس ، ولما ظهرت هذه الحقيقة المدهشة أخيراً كانت مثار السخط والريب فى نزاهة القضاء .

وكان ستافسكى طريد القضاء أثناء ذلك يعيش فى بذخ لم يسمع به فى داره الفخمة بحى الشانزليزيه مع زوجته الحسناء أرليت سيمون التى تزوجها منذ سنة ١٩٢٢ ، وولديه الصغيرين ، وكان يظهر فى المسارح والأوساط الرفيعة وفى ملاهى الليل وميادين السباق وأندية المقامرة بأعظم مظاهر الغنى والترف ، وينفق الملايين الطائلة فى كان ومونت كارلو وبيارتز وغيرها من مدن المياه ، كل ذلك باسم « مسيو آلكس » وقد ظهر من التحقيق فيما بعد أن كثيرين ممن اتصلوا به لم يكن يدور بخلدهم أن مسيو آلكس هذا أو آلكس الجميل هو نفسه الكساندر ستافسكى بطل الفضيحة الكبرى .

وفى سنة ١٩٣٠ وقع ستافسكى فى مأزق جديد وافتضح أمره مرة أخرى ، ذلك أنه قدم إلى بنك التسليف البلدى باورليان طائفة كبيرة من الجواهر الزائفة واستطاع برهنها أن يحصل على سندات للخزينة قيمتها عشرة ملايين فرنك ، وأن يقطع هذه السندات ويحصل على قيمتها ولكن هذا التزييف الهائل اكتشف غير بعيد ، وظهر أن الجواهر المودعة كلها زائفة لاتساوى أكثر من عشرة آلاف فرنك ، بيد أن ستافسكى فطن فى الحال للخطر الذى يهدده ، وبادر بتسوية المسألة ورد قيمة السندات المسحوبة ، وبذا أسبل الستار على الفضيحة بسرعة ، وأنقذ ستافسكى مشاريعه من خطر الانهيار وأنقذ نفسه من ظلام السجن

ولم يمض على ذلك أشهر قلائل حتى استطاع ستافسكى أن ينفذ مشروعه الجديد ، وهو انشاء بنك التسليف البلدى فى مدينة بايون . وهذه البنوك المحلية الصغيرة تنشأ فى عواصم الاقاليم طبقا لقانون خاص ، وتقوم بمهمة التسليف برهونات منقولة مثل الجواهر والحلى ؛ وهى تنشأ عادة برؤوس أموال صغيرة ، ولكنها تستطيع متى اتسعت أعمالها أن تزيد فى رأسمالها باصدار سندات على الخزينة بالاعتمادات اللازمة ، وهذه السندات تتمتع بنوع من الضمان الحكومى ، لانها تصدر بمصادقة السلطات المحلية فضلا عن ادارة البنك ، وتمثل السلطات المحلية فى ادارة البنك على يد مدير المقاطعة وعمدة المدينة ، وتمنح هذه السندات عادة ربحا حسنا لا يقل عن خمسة فى المائة ، وتعفى من ضريبة الدخل ، وهى لذلك تجد اقبالا من شركات التأمين وغيرها من شركات الادخار فتسارع الى اقتنائها كوسيلة حسنة لتوظيف المال . وقد رأى ستافسكى فى الحال أنه يستطيع أن يجعل من اصدار هذه السندات وسيلة سهلة مدهشة لاختلاس عشرات بل مئات الملايين . بيد أنه حرص بادىء بدء أن يتمتع مصرفه الجديد بسمعة حسنة ؛ واستطاع أن يجعل منه مؤسسة ناجحة متسعة العمل . ثم عمد بعد ذلك الى اصدار السندات تغطية لاعتمادات يريد البنك تحقيقها ، ويسدد قيمتها متى حلت آجالها ، فأخذ يصدر منها الملايين ثم عشرات الملايين ثم مئاتها ؛ وكان اختلاس هذه الأموال الطائلة يجرى بالصورة الآتية : يصدر البنك سندات قيمتها عشرة ملايين مثلا ، ثم يعرضها فى السوق المالية للقطع ، فتشتريها احدى شركات التأمين بقطع مرغب جداً (٥ فى المائة مثلا) لكى تقبض قيمتها متى حل أجل استهلاكها وتستفيد بذلك من القطع ثم من الأرباح . وقد بذل ستافسكى لترويج هذه السندات جهوداً مدهشة ، واستعان فى ذلك بالجهات الرسمية وبالدعوة الصحفية . ومن الغريب أنه استطاع بواسطة النائب جارا عمدة بايون ، أن يستصدر من وزير المالية ووزير التجارة منشورا وجه الى شركات الاستثمار المختلفة يحثها على اقتناء سندات بنوك التسليف المحلية باعتبارها اوراقا ثابتة مضمونة ووسيلة حسنة للاستثمار ، وذلك طبقا لما نصت عليه بعض القوانين المالية ؛ فكان هذا التعضيد الرسمى اداة قوية فى يد ستافسكى ومشجعا للشركات على شراء سندات مصرفه ، وكانت هذه الملايين الطائلة بدلا من ان تودع خزينة البنك تذهب توا الى جيب ستافسكى يبددها على بذخه المدهش وينفق منها على شركائه واعوانه . ولم تكن هذه الملايين ترصد فى سجلات البنك لان السندات كانت زائفة تصدر دون مرجع او سجل ، وقد استطاع ستافسكى كما أثبت التحقيق أن يبيع من هذه السندات المزورة الى مختلف الشركات والافراد بما يساوى نحو خمسمائة مليون فرنك (أو نحو ستة ملايين جنيه) فى أقل من ثلاثة اعوام ! هذا الى طريقة أخرى للاختلاس لجأ اليها ستافسكى ، وهو انه فى فرص كثيرة كان يقدم الى البنك بعض الجواهر المزيفة باعتبار انها جواهر ثمينة ويسحب عليها

مبالغ طائلة ، وفى أحيان كثيرة كان يستخرج الجواهر الثمينة التى أودعها عملاء البنك فى خزائنه رهنا للقروض ثم يضع مكانها جواهر زائفة ، ويحصل بهذه الوسيلة على عشرات الملايين .

والآن ، لنر كيف اكتشفت هذه الاختلاسات الهائلة .

ومن المحقق أنه كان من المستحيل ان يمضى ستافسكى فى جرائمه طول هذه المدة ، وعلى هذا النحو المدهش لولم يكن مستظلا بحماية الرجال المسئولين آمنا مطاردة البوليس والقضاء . على ان حادثا فجائيا أدى الى اكتشاف الحقيقة المروعة ، وهو أن احدى شركات التأمين ، كانت قد اشترت من السندات الزائفة ماقيمته ثمانية ملايين حل أجل استهلاكها فى اغسطس الماضى ، فتقدمت الى البنك بطلب هذا المبلغ فطلب مدير البنك تسيه رجل ستافسكى وشريكه مهلة للدفع ، فرأت الشركة من باب الاحتياط ان توقع حجزاً على بعض المبالغ المطلوبة للبنك ، فدهش مراقب الضرائب فى بايون لهذا الحادث وارتاب فى الامر لأنه لايعقل أن مصرفا كبيرا محترما مثل بنك بايون يتوقف عن الدفع بهذه الصورة ، وتصادف عندئذ أنه فحص بعض السندات المسحوبة فلم يعثر لها على أثر فى سجلات البنك أو حساباته ، فأخطر الجهات المختصة ، وكان ذلك فى يوم ٢٣ ديسمبر الماضى . ولما رأى مدير البنك تسيه أن الامر قد افتضح ذهب الى مدير البوليس ، واعترف له بطرف من هذه الجرائم ، وفى الحال تدخلت النيابة ، وقبض على تسيه وبدأ التحقيق فى الفضيحة الكبرى

وسنرى فى فصل تال ماذا كشف التحقيق عنه ، وماذا كانت خاتمة هذا الافاق البارع وماذا كانت آثار هذه الجرائم المثيرة فى سير الحياة الفرنسية العامة .

محمد عبدالله عنان

الأدب والخلود

بدت فى أفق الوجود منذ أقدم عصوره أنواع كثيرة من الحيوان والنبات ، ظلت تتصارع مع إرادة البيئة وعوامل الموت والحياة حقبا طوالا ؛ حتى فرق بينها قانون « تنازع البقاء » بكلمته الحاسمة ، فسكنت رحى الحرب وأسفرت تلك الوقائع عن خطوط متباينة لكل نوع منها عن الآخر : فمنها ماكان ضعيف الايد فقير العدة لم يستطع أن ينجو من نار هـذا التنافس المستعر فالتهمته ألسنتها وأسدلت على كيانه وذكراه حجاب العدم إلى الأبد ، ومنها ماجاوزته هذه النيران وقد أبقت منه هيكلا هشيما أو بقايا منثورة لم تزل مطمورة تحت أطباق الثرى حتى عثر عليها رجال الآثار والحفريات فنشروها فى صدور المعارض والمتاحف ، ووهبوها بعثا جديدا لحياة الذكرى . وكان هنالك غير هذين ماوهبته الطبيعة أمضى الاسلحة للوقاية أو السطوة ؛ فكان هو الصامد للهول الصائل فى المجال حتى خرج مظفرا منصورا رافعا لواء الحياة !

كذلك فى أفق الفنون والآداب نرى مثل هذا الصراع العنيف دائر الرحى بين أنواعها المختلفة ، وبين مؤثرات العدم والوجود ، كأنها كائنات حية شاخصات الجثمان تحكم بينها قوانين النشوء والبقاء . ولئن كانت حرب الأنواع المادية قد خمدت نارها منذ آماد لتؤول إلى نضال آخر بين فصائل النوع الذى ظفر بالبقاء ، فان صراع منتجات العقل وبخاصة ماكان فى دائرة الفن والأدب لما يزل حامى الوطيس مشتعل اللهيب منذ أخذ الفكر وأخذت العاطفة تفتح عيونها على الكون ، وتتعرف مافيه من ظواهر وأسرار إلى اليوم . وسيظل هكذا يزداد أواره احتداما كلما نما العقل واتسعت شعاب الحياة أمام العواطف ، وكلما ارتقت مثل الانسانية وآمال المجتمعات والأفراد فى سماء الحضارة الرحيبة الآفاق ؛ فكل أدب واهن القوى أو فاقد الأداة لابد أن يكون مصيره كمصير ذلك الكائن الضعيف إما فناء أبديا أو فناء يتخلله البعث للذكرى فى خزائن الكتب ، أو شوارد التاريخ أو على جدر المعابد ، وكل أدب موفور القوة موهوب المناعة لابد أن يغالب الزمان ويبقى على الحدثان .

هكذا توزعت الجدود على أنواع الأدب فى كل عصوره الماضية

وكذلك سيبقى نظامها ؛ وقد تكون تلك الظاهرة ملحوظة فى جملتها قريبة الادراك بشكل عام عند من يتنبهون إلى حقائق الموت والحياة فى المعنويات كما يعرفونها فى الحسيات ، ولكن الغموض وسوء الادراك إنما يقعان فى تحديد معانى هذه الحقائق ؛ ودقة الاحاطة بمدلول كلمات الضعف والقوة والغلبة والهزيمة ، وفى العثور على محور التنافس والنزاع ، وكشف القوانين التى تعمل من وراء هذا كله لترجيح كفتى الفناء أو الخلود إحداهما على الأخرى . فكثير من متناولى الأدب من يقف اليوم خاشعا أمام تراثنا الأدبى القديم ، مستلهماً نفحات الخلود من سطوره وكلماته لانه قديم باق منذ مئات الأعوام إلى اليوم برغم الغير والاحداث ، دون أن يفرق بين أدب لا يجدر به أن يحفظ إلا ليؤدى مثل وظيفة تلك البقايا الحفرية تسجن فى غرف المتاحف فتذكر بنوع باد وانقرض ؛ وبين أدب خالد وثيق الصلة بعناصر الحياة فهو باق بأصله وأثره ولو اندثرت ألفاظه ، وليس من سبب لهذا النظر المختلط الواهم إلا عدم الاحاطة بدائرة الخلود وتنور الاسس التى يشاد عليها صرحه وما يؤدى إليه هذا الابهام من قصور عن إدراك الفارق الكبير بين مدلول كلمتى « الخلود » و « البقاء » فى العرف الادبى الدقيق .

ليس الخلود فى الأدب هو مجرد البقاء ، وإن أوضح ما يبدى الفرق بينهما هو ذات هذا التباين الذى أدركناه بين بقاء الآثار والعاديات وبين بقاء الكائن الحى الخالد ، ويمكن أن يعبر عن تلك الميزة الكبرى بأن خلود هذا الكائن إنما هو بقاء مقرون بالتأثير والتأثر ، أو هو بقاء قابل فاعل ، أو هو الحياة ؛ فالاثر الادبى كالاثر المادى سواء فى أن كلا منهما لا تتحقق له صفة الخلود الا اذا امتاز بصفات وخواص تؤهله لان يظل مشتركا مع دورة هذا الكون الحى بآثار يحدثها فتزيد فى قوة تلك الدورة ، أو بطواعية ولطف تقبل لما يوحى به الكون من غايات ؛ وما يتطلبه من نظم ، وبقدر ثروته من هذه الخصائص تتعين له منزلته من درجات الخلود المتفاوتة السمو ، غير أن الكائن المادى يؤدى وظيفة حياته هذه بالفعل أو الترك ، والادبى انما يؤديها بما فيه من أفكار ووجدانات .

واذا كانت مؤهلات الخلود للنوع المادى هى فى هذا التكوين الدقيق المنظم من عناصر متجانسة متوافقة ، انتخبت من جنس عناصر الكون الخالد ، لتشترك باتحاد ذراتها واتساق تركيبها فى تأدية سلسلة مترابطة من الغايات ، حتى تنتهى الى الغاية الكبرى من تكون الكائن كله بجميع أجهزته وأعضائه ، وهى الاتصال المباشر بدورة الحياة بالنشاط والحركة والعمل والانتاج والاهلاك والارادة بنوعيها من سلب وايجاب ـ كذلك مؤهلات الخلود للنوع الأدبى إنما هى فى تكوينه من لباب من المعانى ، مأخوذ بمهارة من صفحة الكون الزاخر بالحقائق والاحلام ، متسق العناصر والأجزاء بدقة وتفنن وابتكار ، حتى يبدو فى شكل وحدة متلائمة كلها أفكار ووجدانات ، تؤدى غايتها العظمى ، مؤثرة تارة فى الحياة ببعث الحق فيها والخير والفضيلة والكمال ، أو متأثرة بها تارة أخرى بتقديس ما بها من جمال وعبادة ما وراءها من أسرار وامتزاج بما فيها من روح !

ذلك هو شرط الخلود بحدوده العامة ، وليس هو قيدا نبتكره ونمليه نحن على الأدب وأهله ، وإنما هو فيما نرى قانون ثابت أملته طبيعة الحياة من قبل على الكائنات المادية ، ونفذت أحكامه عليها بعنف وقسوة ، وهى تمليه اليوم وتطبقه على الكائنات المعنوية بعد ان اشتد تنافسها وكثرت أنواعها ، وبعد ان أصبح للآداب كيان ظاهر فى الحياة الانسانية يسعى إلى مثل ويتجه إلى مقاصد ، أو كما يقول النحاة بعد أن أصبح « عمدة » لا « فضلة » .

ولقد ظهرت آثار هذا القانون بجلاء منذ بضعة قرون فى الحياة الأدبية لأمم اوربا الراقية حين أخذت آدابهم تنمو وتستقل وتقوى شخصياتها وتتحدد غاياتها ، فنشأت عندهم مذاهب النقد وطرائق البحث التى تعمل كلها فى ضوء هذا القانون حتى لا تمنح رتبة الخلود إلا لما احتوى على عناصره وتحقق فيه شرطه ، وهاهو ذا تراثهم الأدبى تجد فيه سجل الخلود منشورا واضحا لا يجمع إلا أمثال أسماء شكسبير وملتون وشلى وبيرون وتنيسون وسكوت فى انجلترا وموليير وروسو وفولتير وهوجو فى فرنسا ولسنج وشلر وجيته فى ألمانيا ، وغيرهم ممن يضاهيهم أو يقاربهم مرتبين فى درجات مختلفة من الخلود بحسب ما حاز كل منهم من عناصره . أما نحن فلا تزال حياتنا الأدبية ناشئة حديثة ، وقد كانت إلى عهد قريب حائرة ضعيفة الادراك لا تدرى أى سبيل تسلك ولا على أى مرفأ ترسو ، لأن الشعور بالحياة كان ضيق الدائرة ضئيلا ، وكان سوء التقدير وفساد الفهم لغايات الأدب ومعانى خلوده يحاصر هذا الضيق ويأبى عليه أن يكتسب مرونة أو اتساعا . ولكنها الآن قد أخذت تنهج طريقة

أختها الأوربية فتفتح عينيها على الحياة وترشف من رحيق أسرارها ومثلها ، معتزة بوجودها ، مكتسبة كل ما يزيدها نموا وارتقاء ، وبهذا حق عليها أن تدفع ثمن هذه الحرية غاليا ، وتتقبل راضية أو كارهة قانون الحياة الدائم ، فلا خلودالا لمن ظفر بشرطه وأوفى على غايته .

نعم لم يعد يسيرا فى هذا العصر لأثر أدبى أن يظفر بالخلود ، لأن التنافس يزداد شدة كلما تقدمت الحضارة خطوة ، ولأن ذوق الجمهور قد أخذ يدق ويسمو حتى ليكاد يصبح ناقدا عاما ، ووجدانه قد بدأ يزخر بالآمال والعواطف حتى يأبى الا أن يحتسى كأس الحياة حتى الثمالة ، وإرادته أيضا قد غدت حرة قوية مؤثرة حتى لاتقنع إلا بنشدان المثل العليا . وهذه كلها نتائج طبيعية لنشر وسائل التهذيب من تعليم وصحافة وأقاصيص وتمثيل وخيالة ، ولحياته بروح الدساتير الحديثة التى تكفل له الحرية وتسيغ له الاشتراك فى الحكم والدولة ، ولشدة امتزاج الشعوب اليوم بعضها ببعض وسرعة تبادل الأفكار والمشاعر ، فهل يقنع هذا الجمهور الطامح المهذب إلا بأدب يمثل قانون الخلود فقرة فقرة ؟

لابد إذن لوجود هذا الأدب السامى من أديب يملك بفطرته نفسا شاعرة نبيلة دقيقة الحس كميزان الذهب ، تتلقى الالهام والوحى من محيط الوجود كما يتلقى الجارس « الراديو » موجات الأثير حاملات الأغانى لايشعر بها غيره ، وعقلا صافيا كالعدسة المكبرة تواجه الشىء فيتجلى فيها بخفاياه وحذافيره ، قد صقلته التربية ووسعت أفقه التجارب والثقافة المحيطة ، وقدرة ماهرة على التنسيق والتنويع وحسن الصياغة بابتكار واستقلال .

وندع الآن مشكلة اللفظ وماتنتجه من مسائل الفصاحة والبلاغة فانما نحن نتحدث عن الجوهر لا عن العرض ، ونبحث فى القانون الثابت المطرد لا الأمر العارض النسبى ، ولسنا نعنى بذلك أن نهمل البتة ناحية اللفظ فنكسو الحسناء الجميلة ثوباً خلقا مهلهلا ، بل الذى إليه نقصد أن سر خلود الأدب اصالة إنما هو فى معناه ، ثم تأتى مسألة اللفظ بعد ذلك مختلفة باختلاف اللغات متفاوتة بتفاوت الأذواق ، فكم فى اللغات العامية من معان رائعة حية الأثر تتداولها الألسنة رواية لاتدوينا ، وبداهة لاتعلما ، وهى خالدة على مر الأجيال فى معزل عن اللغة الفصحى بل فى نفور منها أن تشوه جمالها ، وكم فى اللغات الأعجمية من آثار خالدة أيضاً لم تدرك لغتنا الفصحى شأوها بعد ولا يضيرها أن تؤدى برطانة الأعجام ! فمسألة الخلود فى الحقيقة مسألة المعنى وهى الأمر الثمين النادر ، أما اللفظ فيسير الثمن بتعلم اللغة والإطلاع على أساليبها .

وكأننا بهذا نعكس رأى علماء البلاغة الأقدمين إذ كانوا يقولون : إن المعانى منثورة فى الطريق يعرفها الفصيح والمفحم والعالم والأمى والبدوى والحضرى ، ولكن الفرق كله بين هؤلاء فى اختيار اللفظ وحسن التركيب !

ولعمرى ما أشبههم فى ذلك بمن يقولون إن الذهب والفضة مطروحة فى الطرقات ، ولكن المشكلة المعضلة حقا إنما هى : كيف يحمل الفقير تلك الكنوز ؟ !

* * *

وبنظرة نرددها بين غاية الخلود البعيدة المدى ، وبين أدبنا الحديث ، نستطيع أن ندرك كيف ينحرف هذا الأدب عن الهدف الذى يجب أن يقصد ؛ ثم إذا تتبعنا خط الميل عن الجادة المستقيمة لم نلبث أن نقف على نقطة الانحراف أو رأس المفترق ، وليست هى فيما أرى إلا حيث يتدفق سيل التقليد الجارف ، فيكتسح أدبنا أمامه ويحول بصره عن الهدف الى صحراء العصور الخالية ، ولقد سار أدبنا منذ نشأته فى هذا الطريق المنحرف مراحل واسعة ، ثم جاء الأدباء المجددون والشباب المثقف الحديث فحاولوا أن يمسكوا بزمامه ويردوه الى غايته ؛ فاذا به يستقيم ويعدل سيره فى أنوارهم وهو حقيقة يوشك أن يعتدل . بيد أن انكساره القديم قد ترك فى بصره بعض الزيغ وفى هيكله بعض الاعوجاج !

كانت الروح الفردية هى عماد الأدب القديم ، ومازالت هى أيضا عماد أدبنا الحديث ، فكما كان رجل الصحراء ينشد أدبه الغنائى فى حدود نفسه معتزا بشخصيته دون غيرها ، حين يصف حبه وهيامه وحوادث غرامه أو حين يصف ناقته وفرسه أو يفخر بشجاعته وبأسه ، كذلك نحن لانبرح مقيدين بخطته مقتفين أثره لانعنى أكثر مانعنى إلا بالتغنى بهذه الأغراض الفردية الضيقة من حب شخصى وحزن وسرور ورثاء ومدح لاتعدو حدود النفس ، ولست أدرى كيف نمهد لنا عذرا عن هذه الأثرة التقليدية إذا وضحت أمامنا أعذار الرجل الصحراوى وقد كانت طبيعة بيئته ونظام حياته لايسمحان ببناء مجمع مترابط ممتزج بل تلحان على كل فرد أن يكون هو مجتمع نفسه وحكومة شخصه ؟

وهل تلك الحياة المفككة هى حياتنا اليوم ؟ أليست دعامة هذا العصر المتحضر هى قوة روح الاجتماع وتشييد بناء الوحدة وتربية الفرد ليفنى فى المجموع ؟ إذن فلن ينطلق أدبنا من رجعيته إلا إذا جارى العصر وساير الحياة فاندمج فى المجتمع بما فيه من سياسة ودين وتربية وأخلاق وغاص إلى أعماقه وترجح على أمواجه ؛ متشرباً العواطف الانسانية لا على أنها نزعات فردية من شخص لآخر ، ولكن على أنها ظواهر اجتماعية لها آثارها فى المجتمع ولها أحوالها وخواصها المتأثرة به المتغيرة بتغيره ، وناظراً منصتاً لا فى منطقة شخصه ولكن فى رحاب المجتمع الطليق يراه كيف يجد ويلعب وكيف يفكر ، وكيف يشعر ، ويسمعه بأى لحن ينطق ويغنى ويئن ويهتف ، ضاربا معه على أوتار أفراحه وأحزانه ؛ صاعدا إلى سماء الآمال أو منحدرا إلى أرض الهوان ، صارخا فى ثورته ، نائما فى رقدته .

وكان الادب القديم نسيجا من خواطر وأحاسيس هى بنت ساعتها ، ووليدة حادثتها ، توضع متراصة مسرودة دون أن ينظمها سمط من العلم أو رباط من العقل ، وما زال أدبنا الحديث أيضا نسيجا من مثل هذه الخواطر والاحاسيس ؛ لا يحاول أن يتقرب الى العلم أو يصافح الفلسفة أو يمد يده الى علم النفس ، بل كثيراً ما يقف منها موقف الاضداد ، فاذا كان منشأ هذا النقص عند أدباء القرون الماضية هو فقرهم من هذه الثروة الفكرية العظيمة ؛ وفهمهم الادب على أنه منفذ للشعور الفردى الوقتى كيفما كان لا كما نفهمه نحن اليوم من أنه دعامة من دعائم الحضارة وأس الاجتماع المهذب الراقى — فبأى سبب غير عماية التقليد نعلل وجود هذا النقص فى أدبنا إذن ونحن فى عصر يفهم الأدب على هذا الوجه ، ثرى بما فيه من منتجات الفكر ؟

ولعل هذه الروح الجديدة التى نحاول أن نشربها أدبنا ليتصل بالعلم والاجتماع ، تدل بنفسها على أنها لا تستطيع أن تحيا وتنمو وراء هذه الاسوار الضيقة التى كانت تحاصر الادب القديم : أسوار الشعر الغنائى والحكم المقتضبة والامثال الموجزة ، والفصول الكتابية والاراجيز النظمية تعقد ليان الاخلاق والنصائح والعظات فى قواعد وقضايا آخذ بعضها برقاب بعض . وإنما هى تريد قبل أن نفكر فى استلهامها أن نهدم هذه الاسوار ونخرج إلى ميدان القصة والملحمة والرواية الرحيب الجوانب فننثر فى فضائه ما نريد من حكم ووصف وعظات وما نشاء من وحى الفكر والوجدان.

أجل ، فان ذروة الخلود سوف تدنو من صروح القصة والرواية وما حكاهما ، وسوف تكون هذه الانواع أقوى أنواع الادب وأكبرها اثرا فى تأدية وظائفه فى الحياة الانسانية بين الجماعات والافراد ، وستندمج فى ثناياها تلك الانواع الصغيرة التى لا تحتوى الا على خطرات محدودة من مشاعر الحب والانتقام والهجاء والفخر والحماسة والمثل والوصية والمراسلة وما جرى مجراها ، فلا يبقى منها مستقلا إلا ما ترشحه رقة نغماته ووحدة موضوعه وصدق شعوره ليجيب بعض نداءات الحياة القصيرة التى لا تتحمل أعباء القصة ولا تستطيع تغذيتها . وفيما خلا ذلك تنهض القصة بدعوات الحياة الكبيرة وتخوض معارك الاجتماع وترتوى من منابع العلم فتصبح صورة صادقة ناطقة للانسان والكون وما بينهما من أسباب وصلات .

وحرى بنا الآن وقد جرت معنا ألفاظ الغاية والهدف والقصد الى جانب الأدب أن ندفع ما قد يدور بخلد ظان من أننا نريد أن تكون الغاية هى التى تخلق الأدب وتحكم فيه ، فلا يكتب الأديب أو ينظم إلا لغاية قد تعمدها ونصبها أمامه ، فان مآل هذا أن يصبح الأدب صناعة لا فنا وأن يصير الاديب مصنوعا لا مطبوعا ، وانما نحن ننسب الغاية الى الادب على سبيل المجاز ، ونريد فى الحقيقة أن يصدر الادب عن نفس تشربت من قبل بالغايات والمبادىء حتى ذابت فيها وتحولت الى وجدان حى ورغبة فنية دافعة ، فهى لا تكتسب بعد ذلك ناظرة الى غاية منفصلة ، وانما هى تعبر عن شعورها المتصل بها وفكرها الذى أصبح ملكا لها إرضاء لطبيعتها الفنية وفطرتها الادبية ، فكأن للأدب غاية لا ترى إلا بعد صدوره بالفطرة .

وللخلود فى الادب مناطق تختلف سعة وامتدادا . فقد يسرى حتى يعم العالم بأجمعه ويصير أدبا عالميا . وقد يقتصر على أمته وشعبه فيكون أدبا قومياً . وحولهما درجات ، والسر فى هذا انما يرجع الى اختلاف موضوعاته : فاذا كان متناوله النفس الانسانية من حيث هى لا باعتبار الاجناس والانواع فهو جار مع النفس الانسانية فى كل مكان . وكذلك اذا كانت وجهته الكون والطبيعة والمعانى الكلية التى لا تحددها الامكنة ، ولا تطغى عليها البيئات . ومن أظهر الامثلة لذلك أدب المعرى وابن الرومى والخيام فى

فلسفة سبنسر

للاستاذ زكي نجيب محمود

- ٢ -

تطور الحياة

يبدأ سبنسر كتابه عن تطور الحياة بتعريف الحياة نفسها بانها التوفيق بين الكائن الحي وبيئته، ويتوقف كمالها على كمال هذا التوفيق. فهذا حيوان يكتسي بالفراء ليتقي لذعة البرد، وذلك قد أعد لاختزان الطعام لما عساه أن يصادفه من قحط وإجداب، وثالث يستطيع أن يتلون بلون الارض التي يدب فوقها حتى لا يبصره العدو فيفتك به، الى آخر هذه الوسائل التي زودت بها الطبيعة الأحياء، أو بعبارة أصح، التي قسرها الأحياء قسراً على أن تزودهم بها للذود عن حياتهم، مما يعلم القراء جميعا. وبديهي أن هذه الملاءمة لم تبلغ ولن تبلغ درجة الكمال ما دام الحيوان مخلوقا ناقصاً يعتريه الضعف والموت، ولكن مهما يكن من أمر فهو دائب لا يني عن السعي الحثيث في زيادة هذه الملاءمة شيئاً فشيئاً، بأن يكمل هذا النقص تارة وذاك طوراً، وينقح من أعضائه حتى تتمكن من مجاوبة الطبيعة ومقاومتها، ومعنى ذلك أن الكائن الحي يشعر بالحاجة أولا ثم ينطلق في سعيه جيلا بعد جيل يستمد من الطبيعة عضواً يسد له ما أحس من نقص، فهو مثلا يشعر بحاجته الى النظر لكي يتبين ما يحيط به في دقة ووضوح فيكون لنفسه على مر الدهر عضواً للابصار، وهكذا قل في سائر الاعضاء.

وليست الحياة الا هذا التوفيق الذي لا تنقطع أسبابه، ولا تقتصر هذه المحاولة على أفراد الحيوان، بل تعدوها الى الانواع، اذ يسعى كل نوع باعتباره كلا الى الملاءمة بينه وبين البيئة. ويرى سبنسر توافقا عجيبا بين تكاثر الحيوان وما يحيط به من الظروف الطبيعية، فهو يرى أن الأصل في التناسل هو تخلص الكائن الحي من زيادة في حجمه لا تناسب مع جهازه الهضمي، أي أن كتلة الكائن الحي اذا اطردت في النمو، تصل الى حد لا تستطيع معه المعدة أن تسد حاجتها في الغذاء، وعندئذ يضطر الحيوان الى أن يقف نموه عند حد معين، وكل زيادة تجيء بعد ذلك يتخلص منها بان يخرجها نسلا. وتطبيق ذلك، أن الانسان، ذكراً كان أم أنثى، يأخذ جسمه في النمو الى حد محدود ثم يقف نموه اذا ما جاءت مرحلة التناسل، ولذا نرى أن عـــدد النسل يتناسب تناسباً عكسيا مع درجة النمو، فكلما كبر حجم الحيوان كان نسله أقل عدداً، فبينما تنسل الذبابة مثلا عشرات الذباب لا يلد الفيـــل الا واحداً. كذلك يتناسب عدد النسل مع مقدرة الحيوان على مقابلة الاخطار. فان كان ضعيفا عاجزاً عن صـــد ما يتهدده من الكوارث لجأ الى كثرة النسل ليعوض فناء أفراده الناشيء من ضعف المقاومة والا تلاشى النوع. والعكس صحيح، أي اذا كان النوع قادرا على الاحتفاظ ببقائه، وجبت قلة النسل، والا رجحت كثرة العدد على كمية الطعام. ومعنى ذلك بعبارة أخرى انه كلما ارتقى النوع في سلم الحياة، كان أقدر على الاحتفاظ بوجوده، وكان بالتالي قليل النسل. وهذه القاعدة صحيحة الى حد كبير حتى في الافراد، اي اذا ارتقى الفرد في عقليته وذكائه كان أقل نسلا. ومما هو جدير بالذكر انه كلما ازدادت عند الفرد كمية الاستهلاك العقلي اي التفكير - قل عدد النسل أو انعدم. ولعل أبلغ آية لذلك عقم الفلاسفة. وقد يشير هذا الدليل الى ان الانسانية تسير في تطورها نحو مرحلة تزيد فيها القوة العقلية ويقل عدد النسل.

وعلى الرغم من ان الطبيعة ساهرة على هـذا التوفيق بين نسبة التناسل وحاجة النوع. فقد يظهر انها أخطأت الحساب ومالت نحو الإكثار من السكان، بغض النظر عن كمية الغذاء، وحق للمتوس

الشرق، وشكسبير وروسو وهوجو في الغرب. أما إذا كان موضوعه مصبوغا بصبغة البيئة وألوان المكان وأغراض الشعوب والاجناس فهو خالد في حدود من يصورهم ويتحدث بلسانهم. ومن أمثلته بعض أدب حافظ وشوقي مما يغذي الوطنية في مصر، ورديارد كبلنج في انجلترا، وجميع الآداب القومية التي يعتز بها اليوم كل شعب. وليس يعني هذا التفاوت في سعة النفوذ تفضيلا في الرتبة بين خلود وآخر، لان الاديب قد ينتج النوعين وينبغ في الناحيتين معا، ولكنه يقال كقاعدة عامة في هذا العصر الذي أصبحت القومية روح وجوده أنه لا بد لكل شعب من أدباء قوميين يغذونه بالادب الرفيع الخالد؟

محمد ضياء الدين الريس

(الرسالة) لا تتحمل الرسالة بالطبع تبعة ما تنشره من الآراء ما دامت مذيلة بأسماء كاتبيها

ان يجهر بدعوته الى ضبط النسل لما لاحظه من زيادة السكان على موادالغذاء .

تطور المجتمع

ليست دراسة الاجتماع باليسيرة الممهدة ، بل يعترض سبيلها من العقبات والصعاب مالا يستطيع التغلب عليها الا الافذاذ الفحول ، فقد حدث مرة ان ارتحل رجل فرنسى الى انجلترا يقضى بأرضها بعض الوقت ترويحا للنفس وحبا للاستطلاع فلم يكد ينقضى على اقامته بها أسابيع ثلاثة حتى اعتزم ان يصدر كتابا عن انجلترا ، اذ خيل اليه انه قد درس شعبها فأتقن الدراسة ، فلما انقضت شهور ثلاثة ، هم بوضع كتابه ، ولكنه أدرك أنه لم يتقن الدراسة بعد بحيث يستطيع ان يخرج الكتاب الذى يريد ، وآثر الروية والأناة ، فلما انقضت سنوات ثلاث ، اتسع شعوره بالعجز والقصور ، وأيقن أنه لايعلم من موضوعه شيئا ... وهذا صحيح، فقد يخيل للانسان للوهلة الأولى ان دراسة المجتمع سهلة ميسورة ، ولكنه كلما ازداد علما بدقائقه ، ازداد يقينا بجهله وعجزه

فما بالك بالجهود التى بذلها سبنسر ، وهو لا يريد أن يدرس شعبا بعينه فحسب ، بل يقصد الى دراسة المجتمع الانسانى باسره وكيف تطور كيانه من حالة الى حالة ؟ فهو يرى ان المجتمع كائن عضوى له أعضاء للتغذية وله دورة دموية ،وفيه تعاون بين الاعضاء ، وله فوق ذلك تناسل وافراز ، شأنه فى كل ألوان الحياة شأن الافراد سواء بسواء ... فهو ينمو، وكلما ازداد نموه اشتد تعقدا ، وكلما تعقد ازدادت اجزاؤه استقلالا . وحياة المجتمع باعتباره كلا طويلة جدا بالنسبة الى حياة اجزائه التى يتألف منها . والمجتمع كالفرد يتعاوره التكوين والانحلال وهما وجها التطور : فنمو الوحدة السياسية من الاسرة الى الدولة ثم الى عصبة الأمم ، ونمو الوحدة الاقتصادية من الصناعة المنزلية الصغيرة الى نظام الشركات ثم الى الاحتكار ، ونمو وحدة السكان من القرية الى المدينة ... كل هذه ظواهر للتجمع والتكوين ، ولكنك من جهة اخرى ترى تقسيم العمل وتعدد المهن والصناعات ، وتنوع الانتاج بين الريف والمدن ، وبين أمة وأمة ... وهى دلائل تشير الى التنوع والتنافر . . وتستطيع كذلك أن تلمس التطور بشطريه ــ تآلف الاجزاء فى وحدة ، ثم تنافرها داخل تلك الوحدة ــ فى كل جانب من جوانب المجتمع : فى الدين والحكومة والعلم والفن وغيرها

فقد كان الدين أول الأمر عبادة طائفة من الآلهة والأرواح ، فأخذت هذه تتجمع وتأتلف حتى تركزت فى إله واحد .. ثم عاد التوحيد فتفرع الى جملة من الاديان وطائفة من العقائد ، ولم يتحور الدين فى شكله فقط ، بل تبدل موقعه من النفوس كذلك . فقد كان المحور الذى تدور حوله رحى الحياة بأسرها ، ذلك لأنه ألقى فى روع الانسان الأول ان هذه الحياة الدنيا غرور ولهو ، ويجب أن يربأ بنفسه أن تنغمس فى حمأتها أو تتلوث بادرانها ولتكن الآخرة وحدها محطا لآماله ومعقداً لأمانيه ، فهى خير من الأولى وأبقى ، ولكن مالبثت وجهة النظر أن تطورت ، وتوجه الانسان بشطر من عنايته نحو هذه الحياة التى يعيش فيها . واخذت تلك العناية تزداد شيئا فشيئا كلما اتسع نطاق العمل الصناعى.

أما نظام المجتمع فلعل أبلغ ماطرأ عليـــه من تغيير ، هو الانتقال التدريجى من النظام الحربى الذى ساد أوربا إبان العصور الوسطى الى النظام الاقتصادى الصناعى ، ويعتقد سبنسر أن تقسيم الحكومات الى ملكية وارستقراطية وديموقراطية وما الى ذلك ، ان هو الا عرض تافه لايمس الجوهر والصميم ، وأما الحد الفاصل الذى يميز دولة من دولة ، فهو أساس بنائها الاجتماعى . هل يقوم على النزعة الحربية أم يصطبغ بصبغة الصناعة ، وبعبارة أخرى تنقسم نظم الاجتماع نوعين : جماعة تعيش من أجل النزال والقتال ، كما كانت الحال فى نظام الاقطاع ، وجماعة لاتجد فى الحياة هدفا تتجه صوبه وتحيا به ومن أجله سوى العمل ، فتلك تحارب من أجل الحياة ، وهذه تعمل من أجل الحياة .

وللدولة الحربية صفات تلازمها ، منها ان السلطة تتركز فى قبضة الحكومة وحدها ، ويغلب أن تكون حكومة ملكية لاتدخر وسعا للتفريق بين أفراد الشعب الواحـــد الى طبقات بعضها فوق بعض ، فتكون الحرب والفروسية صناعة الأشراف ، وللسوقة الصناعة وفلاحة الأرض . . . كذلك تعظم فى الدولة الحربية سيطرة الرجل فى الاسرة ، ذلك لأن الرجال هم عماد الحروب ، وأين منزلة الرجل فى حومة الوغى من منزلة المرأة قابعة فى عقر دارها ؟ ! ويمقت سبنسر هذا الضرب من الاجتماع الذى تدور حياته حول قطب الحرب ، لأن مصلحة الفرد تذوب

وتتلاشى فى صالح المجموع ، ولأن الدولة لاتقوم الا على القتل والسرقة ، ونحن ان كنا نصم الانسان الاول بالوحشية لأنه كان يلتهم لحوم البشر ، فاأجدرنا أن نزدرى هذه الدول التى تأكل شعوبا بأسرها فى وجبة واحدة ! ويعتقد سبنسر ان رقى الانسانية مرهون بالغاء الحروب ، وهو لا يرى سبيلا لتحقيق هذا المثل الأعلى سوى أن تقطع الامم شوطا بعيدا فى الصناعة لأنها تعمل على المساواة والسلام ، وهى تقسم السلطة بين أعضاء المجتمع جميعا ولا تركزها فى ايدى الحكومة وحدها ، وفضلا عن ذلك فهى تشحذ العقول وتدفعها الى الابتكار ، وهو المعول الهدام الذى يكفل لنا تحطيم التقاليد الوراثية التى تقوى من شوكة الحكومة . . . وستصبح الوطنية فى ظل الصناعة حبا للوطن لا كراهية الأوطان الأخرى ، ثم اذا اطرد نموها ، فستؤدى حتما الى ازالة الحواجز الجمركية التى تفصل الدول بعضها عن بعض ، وعندئذ تورق دوحة السلام وتمتد فروعها حتى يتفيأ ظلها أبناء الانسانية جميعا . . . واذا ماخفقت راية السلام وامحت الحروب ، زالت دولة الرجل ، ولا يعود له فى اسرته سلطة الحجاج التى ينعم بها ، ويرتفع قدر المرأة حتى تقف معه كتفا الى كتف ، لتشابه ما يؤديان من عمل ، وعندئذ فقط يتحقق تحرير المرأة الذى تنشده .

ولما كانت الصناعة تستقى ماء حياتها من العلوم ، فلا ريب فى أن تقدمها وانتشارها ينتجان تربية التفكير العلمى وصحة الاستنتاج للاسباب والمسببات ، ولن يلجأ الانسان بعدئذ الى قوى الطبيعة الخارقة والابالسة والشياطين يعلل بها أحداث الحياة . . . وفوق هذا كله سينقلب التاريخ رأسا على عقب ، فستزدهر صحائفه بذكر الرجال العاملين بدلا من الملوك المحاربين ، وسيفسح فى مجاله للمخترعات والافكار . . . سيزداد الشعب سلطانا وقوة ، وتتقلص سطوة الحكومة وتنكمش ، وسيبطل ذلك الوهم العتيق البالى الذى يفرض على الفرد أن يحيا من أجل دولته ، وأن يضحى بنفسه فى سبيلها ، وسيعلم الناس حقا ان الدولة انما وجدت وانشئت لصالح الفرد ، وان كان هذا هكذا فلا يجوز أن تضحى الحياة من أجل العمل ، بل يجب أن يكون العمل اداة تستغلها الحياة فى تحقيق السعادة والهناء .

تطور الاخلاق

على أى أساس نشيد مبادىء الاخلاق ؟ وبأى مقياس نزن الخير والشر ؟ أما سبنسر وأتباعه فلا يترددون لحظة فى اخضاع الاخلاق ، كأى شىء آخر ، الى قوانين التطور وانتخاب الطبيعة ، وبعبارة أخرى يريدون أن نلقى بزمام الانسان فى يد الطبيعة نفسها تختار من أخلاقه ما تشاء . وقد ناهضهم طائفة كبيرة من العلماء والكتاب ، يربأون بأخلاقنا التى تواضع المجتمع عليها أجيالا متعاقبة ، أن توضع بين مطرقة الطبيعة وسندان التطور ، يفعلان بها كيف شاء لهما الهوى وفى ذلك يقول هكسلى : إن علم الحياة لا يصلح دليلا خلقيا بأية حال من الاحوال ، اذ كيف نترك مصيرنا فى كف الطبيعة العمياء ، وهى كما قال عنها تنسون الشاعر الانجليزى « ماطخة بالدماء نابا ومخلبا » ! ! نعم ، كيف نذر الطبيعة تصب فى قوالبها ما يطيب لها من أخلاق وهى كثيرا ما تمجد الوحشية والمكر والخداع وتمقت الرحمة والعدل والحب ؟ !

ولكن تحدث بهذا المنطق لغير سبنسر ! لابد أن تخضع مبادىء الأخلاق للانتخاب الطبيعى وتنازع البقاء ، وليبق من أخلاقنا ما يصمد لهذه التجربة القاسية ، وليفن منها ما تذروه هذه الريح العاصفة . . . الأخلاق — كأى شىء آخر — تعود على الانسان بالخير أو بالشر بمقدار ما تساوق أغراض الحياة « والخلق السامى هو ذلك الذى يسير مع الحياة ويشاطرها فيما ترمى اليه » فلنقبل من الأخلاق ما يلائم الحياة ، ولنرفض منها ما يعترض سبيلها ومجراها ، أو بعبارة أخرى يجب أن تكون الأخلاق بحيث تعاون الفرد على البقاء فى مضطرب الأهواء المختلفة المتنازعة التى تصدر من أعضاء المجتمع . ولما كانت هذه الملاءمة بين الفرد والمجتمع تختلف باختلاف الزمان والمكان ، كانت بالتالى فكرة الخير تختلف عند الشعوب أوسع اختلاف . ويرى سبنسر أن الطبيعة قد زودتنا بمقياس دقيق نميز به الطيب من الخبيث ، وهو مقياس السرور والالم ، فاذا صادف سلوكنا من أنفسنا ارتياحا ورضى ، كان ذلك دليلا على ملاءمته للحياة الكاملة ، لان ذلك الاطمئنان الباطنى علامة على أن الطبيعة قد اختارت ذلك السلوك ليكون سبيلا الى حفظ الحياة . فأنت تستطيع اذن أن تفرق بين الخير والشر ، بما يبعثه العمل المعين من سرور أو ألم لأنهما دليل ساقته الطبيعة نفسها للتفريق بين هذا وذاك .

نعلم مما تقدم أن الاخلاق يختلف لونها باختلاف البيئة الطبيعية أو الاجتماعية ، لأن الأولى صدى الثانية وانعكاسها ، ولما كان نظام المجتمع فى العصور الوسطى أخذ يتطور فى كثير من أسسه وقواعده ،

كان حتما أن ينشأ عن هذا التحوير انقلاب فى فكرة الاخلاق . فقد كانت أكاليل المجد والفخار لا تعرف موضعا غير هامة الفرسان المقاتلين ، فأما هؤلاء الذين يقضون نهارهم فى الزراعة والصناعة فعبيد أرقاء حقت عليهم الذلة والهوان ، ولكن وجهة النظر أخذت تتطور منذ حلت الصناعة ورسخت قدمها ، لانها تعتمد كما قدمنا على القوة العقلية ، فأضحى العمل أشرف ما يمارسه الانسان . لأنه عماد المجتمع وسنده ... ولما كان هذا العمل لا ينمو ولا يستقيم الا تحت ظل العدالة ، وهذه بدورها لا تورق أو تزدهر الا فى جو من الحرية ؛ كانت هذه الحرية اول واجب فى عنق الدولة ، وقد عرف سبنسر العدالة بأن : «كل إنسان حر فى ان يفعل مايشاء ، على شريطة ألا يتعارض ذلك مع حرية إنسان آخر له ماله من حقوق» . ولا يستقيم هذا النص مع نزعة الحرب ، لانها تعبد سلطان القوة وتفرض الطاعة العمياء ، ولكنه شرط أساسى لنجاح الصناعة لانها تعتمد على السلام والحرية فى الرأى والابتكار .

تلك هى حقوق الانسان الاساسية عند سبنسر . حق الحياة وحق الحرية ، فأما شكل الحكومة فلا يقيم له وزنا ، فلتكن ملكية مطلقة أو دستورية أو ماشئت من نظم ، فمالنا ولها ما دمنا نتمتع بالحرية والحياة ؟ وفى هذا يسخر سبنسر من النساء اللائى يلححن فى طلب الحقوق السياسية ، لانها فى رأيه وهم باطل لا يسمن ولا يغنى من جوع ، فضلا عن أنه يتوجس من المرأة خيفة ان هى وثبت الى مقاعد النيابة والحكم ، اذ يخشى ان تدفعها غريزة الايثار الى تقوية الضعيف الذى يجب أن يترك للطبيعة تسحقه ؛ فلا تذر من الاحياء غير الاقوياء ، نعم يجب أن تتحكم الأنانية وان تظل أساسا لاعمالنا بحيث لا تلين لعاطفة الايثار ، فهى أسبق منه الى الوجود ، وهى أصلح للحياة والبقاء .... وهل الايثار الا أثرة فى لبه وصميمه ! أليست الابوة حبا صريحا للنفس ؟ والوطنية ما هى ؟ ألا تراها أثرة مجسمة ؟ فأنت لا تنتصر لهذه البقعة من الارض الا لانك تعيش بين أرجائها !

وخلاصة الرأى عند سبنسر أن المثل الاعلى للاخلاق هو مزيج متزن بين الاثرة والايثار — الايثار الذى يشبع الانانية ويغذوها .

زكى نجيب محمود

فى تاريخ الأدب العربى المصرى

ابن قلاقس

٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

— ١ —

فى ثغر الاسكندرية ، مهبط الوداع واللقاء . حيث تجلب السفن قوما وتذهب بآخرين ، وتحمل أناسا إلى أوطانهم ، بينما تذهب بغيرهم إلى بلاد غير بلادهم وآل غير آلهم ، وحيث البحر الأبيض يحمل عبابه السفن ، مهتدية بمنار الثغر ، فتحط إليه أو ترحل عنه ، وفى رابع ربيع الآخر عام اثنين وثلاثين وخمسمائة ولد لعبد الله بن مخلوف بن على ولد سماه نصر الله ، وكناه أبا الفتوح ، ولقبه الناس بعد ذلك بالقاضى الاعز ، وشهر فى كتب الادب بابن قلاقس ، وأرجح ماأراه سببا لكنيته الاخيرة أن أحد الاجداد فى عمود نسبه يسمى بقلاقس ، فحمل حفيده الشاعر النسبة إليه ، (وقلاقس بقافين . الاولى مفتوحة والثانية مكسورة جمع قلقاس ، وهو معروف) ولسنا ندرى السبب الذى من أجله سمى جده بهذا الاسم .

ولد هذا الطفل الذى كان على مايظهر نحيفا ضئيل الجسم ، وظلت صفة النحافة ملازمة له ، لم تبرحه طوال حياته حتى قال حينما كبر يحدثنا أن ضآلة الجسم لا تحول بينه وبين العلا :

جوهر المرء نفسه وبها الفضـ ... ـل ، وما غير ذاك فهو فضول
والصغير الحقير يسمو به السـ ... ـير فيعنو له الكبير الجليـــل
فرزن البيدق التنقل حتى انـ ... ـحط عنه فى قيمة الدست فيـل

ويروى بعض الرواة أنه لم تكن له لحية ، ولكن شعره يحدثنا أنه كان خفيف العارضين حيث يقول :

لا تغرنك اللحى من أناس ... درجوا كالحمير تحت المخالى
ولئن خف عارضاى فانى ... لا أبالى بكل وانى السبال

يلبس على رأسه عمامة كالتاج ، وذلك كل ما تستطيع أن تصل إليه إذا أردت أن تعرف شيئا عن خلقه وزيه ، فاذا أردت أن تدرس أسرته وأن تعرف شيئا عن أبيه وأمه فانك غير مهتد إلى ما يشفى غليلك ، اللهم إلا أنه يرجع فى نسبه الاول إلى قبيلة عربية هى قبيلة لخم إن صح مايقوله النسابون عن نسبه .

الحياة العلمية لابن قلاقس حياة يشوبها الغموض ، فلسنا ندرى على وجه اليقين كيف تعلم ، ولا ماذا تعلم ، ولا على يد من تخرج ، وإن كنا نعلم انه درس فى الازهر ، وربما يكون قد طالت مدة دراسته حتى صح أن ينسب ويقال له الازهرى ، كما أننا نعلم أنه صحب الشيخ الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفى وهو أحد الحفاظ الذين رحلوا فى طلب الحديث ، ولقى المشايخ الاعلام ودرس الفقه على مذهب الشافعى ، ثم ألقى عصا التسيار بالاسكندرية ، حيث قصده أهل العلم من البلاد النائية ، ويقال . انه لم يكن فى آخر زمانه مثله ، ولقد بنى الوزير المصرى وزير الظاهر العبيدى له مدرسة بالاسكندرية وكل أمرها اليه ، فقام بأعبائها .

اتصل ابن قلاقس بهذا العالم وانتفع بصحبته كثيراً ، وان شعره الذى مدحه به يدلنا على ما كان بينهما من أواصر المودة وقوة العلاقة ، كان السلفى رجل حديث فلا بد أن يكون ابن قلاقس قد درس عليه الحديث ، وكان رجل فقه ولغة وأدب فلابد أن يكون صاحبنا قد تأثر بفقهه ولغته وأدبه ، وإذا كان الشاعر يهضم دراساته كلها ثم تأبى الا أن يظهر أثرها فى شعره فكذلك كان صاحبنا ؛ فانك ترى فى شعره بعض اصطلاحات علمية تدلنا على دراسته وما تلقاه ، وانصت اليه يقول :

البدر فى العرض الضياء وأنت قد   جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

ألا يذكرك ذلك باصطلاح المتكلمين حينما يتحدثون عن العرض والجوهر والذات ، ويقول :

وأنت ورثت الاكرمين علاهم   وعالت على قوم سواك الموارث

ويقول :

ملك شاعر الحماسة يأبى   أن يمل التسهيم والتقسيما

فهو يشير الى الميراث والعول والتسهيم والتقسيم التى هى من اصطلاحات الفرضيين واستعمالاتهم ، ويقول :

وجدى بنحوك لا عطفا ولا بدلا   فانظر اليه تجده الكل توكيدا

ويقول :

خفضت بها الاشعار حتى كأنها   وان رفعتنى الآن من أحرف الجر

ويقول :

وأحسن بالرفع رفع الحديث   واظهاره للجوى المضمر

فهو فى كل هـذه الابيات يشير الى قواعد النحو من عطف وبدل وتوكيد وخفض ورفع وحروف جر وإظهار وإضمار ، وهى كلها اصطلاحات نحوية تلوكها ألسنة النحاة ، كما كان فى البيت الاخير يحدثنا عن رفع الحديث الذى هو من مصطلحات المحدثين كما قال :

لوارث الحمد يرويه ويسنده   الى مناسب أجداد وآباء

إذ هو يشير الى الرواية والاسناد اللذين يجريان على ألسنة المحدثين . ويقول :

حيث الدماء عقار يستحث على   ماشئت من رمل للخيل أو هزج

ففى رمل وهزج تورية ببحرى الرمل والهزج اللذين يعرفهما علم العروض ويقول :

وأراك تعريف الجمال بوجهه   فانظر إلى ألف العذار ولامه

فهو فى ذلك يلمح بعلم المنطق .

تلك هى العلوم التى نستطيع استنباط أنه درسها من شعره ، وإذا شئت أن تجملها قلت إنه درس الدين وعلومه واللغة العربية وعلومها كما أنه قد أخذ بحظ كبير من دراسة أدب الشعراء الغابرين وحفظ الكثير من أقوالهم ، يدلنا على ذلك معارضته لهم فى أشعارهم وقصائدهم واقتباسه الكثير من أفكارهم وتعبيراتهم ، وإن شعر شاعرنا ليدلنا حقيقة على اطلاع واسع وثقافة متغذية بأشعار السابقين له : جاهليين وإسلاميين ، وسوف نتحدث بعد عن اقتباسه ومعارضته حينما نحدثك عن شعره . قلنا إنه صحب الحافظ السلفى ، ونقول ، إن التاريخ لم يحفظ من أسماء أساتذته الا هذا الاسم ، وقلنا ان العلاقة التى كانت بينهما متينة العرى وثيقة الصلة تلمسها فى شعره ، وتقرؤها فى المدح الذى يفيض قداسة وحبا ، كما تلمس فيه تلك الدرجة العظيمة التى وصل اليها السلفى ، وتلك المنزلة السامية التى كان يضعه فيها أهل عصره ، وحسبك أن تسمع قوله فيه :

نجم علا نوره فكاد بأن   تقبض بالضوء عين من جحده
سائل به من رنته هيبته   فمات من خوفه ، وما عمده
ألم تزره كواكب ضمنت   رجم شياطين كيده المرده
وأصبح العاضد الامام به   فى دولة بالسعود معتضده
وابتسم الثغر عن مفضله   بما ارتضى الله جده ودده
خر له الناس ساجدين فلو   شئت عددت النجوم فى السجده

وشعره فيه كثير جدا يوجد فى ديوانه ، وكان السلفى كثيرا مايثنى عليه ، ويكرمه ، ويقدره حق قدره .

— ٣ —

عاش ابن قلاقس طوال حياته فى عهد الدولة الفاطمية ، تلك الدولة التى جعلت مصر سيدة لامبراطورية ضخمة تمتد من المحيط الأطلسى إلى نهر الفرات ، غير أن شاعرنا كان فى آخر عهودها ، وبعبارة أخرى كان فى عهد ضعفها وانحلال قواها ، إذ لم يكن الأمر والسلطان فيها للخليفة : يصرف الأمور ويدبر الشئون ، ولكنهما كانا فى أيدى الوزراء يفعلون ما يفعلون ، ويدعون مايدعون ، ويولون الخلافة من يشاؤون ، فقام التنافس على الوزارة . كل يرجوها لنفسه ويصرف فى سبيل نيلها ماشئت من مال وجند ، مما كان مدعاة لأن توجه مصر قواها إلى نصر بعض بنيها على بعض لا إلى عدو آخر مغير ، ولهذا كان تاريخ الدولة الفاطمية فى آخر عهدها تاريخا للنزاع الذى كان قائما حينذاك بين الوزراء ، ولعل ضعف سلطة الخليفة فى أكثر المدة التى عاشها ابن قلاقس هى التى لم تدعه إلى السعى للاتصال به ، بل هو لم يتصل بأحد من رجال السياسة المصرية المبرزين إلا بشاور الذى تغلب على خصمه رزيك وانتزع منه الوزارة ، ولازال الغالب يجد النصير ويجد المادح ؛ لهذا تسمع ابن قلاقس يقول له :

يا آل شاور أنتمو دون الورى   للملك كالارواح فى أشباحه
وإلى معاليكم إشارة خرسه   وإلى أياديكم ثناء فصاحه

ويقول حينما انتصر على بنى رزيك :

بك الاسلام قد لبس الشبابا   وكان سناه قد ولى فآبا
وهز الملك عطفيه بملك   تقلد فهمه ، وكفى ، ونابا
وقد لبست به الدنيا حلاها   جلاها حسنها خودا كعابا
وقالوا : أطول الاملاك باعا   فقلت : نعم ، وأنداهم جنابا
سلوا عنه بنى رزيك لما   أفاد الحرب منهم والحرابا
فان جعلوا الظلام لهم مطيا   فكم جعل النجوم لهم ركابا
ليهن الملك أن أمسى مصونا   عشية راح غيرهم مصابا

وكذلك له شعر يحدثنا عما قام بين شاور وشيركوه الذى قدم لمساعدته ثم أبى شاور أن يفى له بما عاهده فاضطر شيركوه إلى الانسحاب من مصر مؤقتا ؛ ويقول فى ذلك ابن قلاقس :

عارض الصفح فى يديك الصفاحا   ورأى البأس ان تطيع السماحا
فرفعت الجناح عن جارم الذنـ   ـب بعفو خفضت منه الجناحا
ووضعت السلاح حين أراك الـ   ـحزم والرأى ان وضعت السلاحا
أى ثغر سما إليه أبو الفتـ   ـح فلم يبتدر إليه افتتاحا
بخيول طارت بأجنحة النصـ   ـر فراحت بها تبارى الرياحا
شاركت شيركوه فى النفس والما   ل وصاحت به فصاحا فصاحا
طلب الأمن ، فاستجيب ، ومايعـ   ـرف منك الطلاب إلا النجاحا
بعد ماضيق الحمام عليه   سبلا غودرت لديه فساحا
فليطل بعدها الفخار ، فقد را   ح طليقا ليضكم حيث راحا

وبغير شاور لم يتصل شاعرنا بسياسى مبرز فى السياسة المصرية اللهم إذا استثنينا القاضى الفاضل الذى توصل بجده ومهارته الى أن يثب على كرسى ديوان الانشاء عوضا عن الموفق بن الجلال الذى كان أستاذا له ، وكان يشغل هذا المنصب قبله ، واذا أنت قرأت شعر ابن قلاقس فى مدح القاضى لحظت فيه تأنفا واجتهادا فى استعمال المحسنات اللفظية ، ولا غرو فالقاضى الفاضل زعيم طريقة عرفت به وعرف بها : هى طريقة الجمال والتزيين اللفظى ، فكان من حسن الذوق أن يجتهد مادحه فى السير على نهجه واتباع مذهبه لان فى ذلك إذاعة لطريقة يريد أن يذيعها ، ويقولون : إن أول قصيدة قالها فيه هى التى أولها :

ما ضر ذاك الريم الا يريم   لو كان يرثى لسليم سليم

ومنها :

من لفظه راح ، وأخلاقه   روح ، وتلك الدار دار النعيم
فارشف باسماعك من قهوة   ما أحدثت من ندم للنديم
بلاغة جرت جريرا ، ولم   تدع حطاما بيد ابن الحطيم
رأى به الديوان ديوانه   مطرزا باسم شريف وسيم
وقال ياعبد الحميد ادرع   من بعد هذا اليوم ثوب النميم
علامة السؤدد معروفة   جسم نحيف وعلاء جسيم

وله فيه مدح كثير ، وثناء على أخلاقه ، وطريقة إنشائه ، وصاحبنا مع فخره بشعره يقف أمام القاضى الفاضل فيقول له :

أتينا بقرى الأشعا   ر نهديها إلى المدن
إلى من بحره الزا   خر لا يعبر بالسفن
إلى من لفظه يطـ   ـرب كاللحن بلا لحن

وهذان العظيمان شاور والقاضى الفاضل أكبر من اتصل بهما شاعرنا فى الديار المصرية .

يتبع

احمد محمد بدوى

من طرائف الشعر

الى زوجى الفاضل

قصيدة طريفة من الأدب النسوى الجميل

للسيدة منيرة توفيق

حرم الشاعر محمد ماهر رشدي مأمور بندر الزقازيق

طال السهاد وأرقت   عيني الكوارث والنوازل
لما جفانى من أحـ   ـب وراح تشغله الشواغل
وطوى صحيفة حبنـا   وأصاخ سمعاً للعواذل

يا ايهـا الزوج الكريـ   ـم وايها الحِب المواصل
مالى اراك معـانـدى   ومعـذبى من غير طائل
لم ترع لى صلة الهوى   وهجرتنى والهجر قاتل
هل رمت ان تغدو طليـ   ـقاً لا يحول هواك حائل
أو رمت غيرى زوجة   ياللأسى ممـا تحاول
ان تبغ مالا فالذى   تذريه ان المال زائل
اوتبغ أصـلا فالتى   قاطعتها بنت الاماثل
أو تبـغ حسناً فالمحـا   سن جمة عندى مواثل
أو تبـغ آداباً فأشـ   ـعارى على أدبى دلائل
أنا ما حفظت سوى الوفا   ء ولا ادخرت سوى الفضائل
وأنا ولى شرف العـفا   ف أعد مفخرة المنازل
فجزيتنى شر الجـزا   ء وكنت فيه غير عادل

أنسيت عهـداً قد مضى   حلو التواصل والتراسل
أيام تبـذل من وسا   ئل أو تنمق من رسائل
وتبث معسول المنى   وتمد أسباب التحايل
ولبثت تغرينى بما   تبديه من غر الشمائل
فحسبت أن الدهر أنـ   ـصفنى وأن السعد مائل
ظناً بأنك لم تكن   لا بالعقوق ولا المخاتل
ما ذا جرى فهجرتنى   والحب شيمته التساهل
عاشرت أهـل السو   ء فاقتصوك فى شر الحبائل
ومضيت تطلب بينهم   عيش المقيد بالسلاسل
ورضيت هجر حليلة   لما تزل خير الحلائل
والله ما فكرت يو   ماً فى جفاك ولم أحاول
فجفوت يا قاسى الطبا   ع ولم تدار ولم تجامل
فاعـلم بأنك قاتلى   والموت فيما أنت فاعل
أين المسـائل والموا   صل فى العشى وفى الاصائل
أين المودة فى الهوى   بينى وبينـك بالتبادل
أين الحديث العذب منـ   ـك وأين ولى سحر بابل
انى أسائل أين عهـ   ـدك فى الهوى إنى أسائل
أعلمت ما فعـل النوى   بى من ضنى أم أنت ذاهل
فاربأ بنفسك وانههـا   وارجع إلى زين العقائل

منيرة توفيق

الذكرى

للشاعر الدمشقى أنور العطار

تهبط الذكرى على قلبى فيحيا   ثم تنأى عن حماه فيموت
غلب اليأس على مأمله   وطوى ضجته الكبرى السكوت
فهو كالبلبل غنى بكرة   ولدى الامساء وافاه الخفوت
رب ذكرى غلغلت فى ساحه   هى عندى أبد الآباد قوت
نعشت روحى منها نفحة   مثلما ينعشك المسك الفتيت

يا سراباً لم أزل أنشده   طول عمرى وهو عن عينى يفوت
بينما الأمر جميع فاذا   عيشى المنضور منهوب شتيت
وحياتى نهر معتكر   غيبته فلوات ومروت
أعشب الشوك على أعطافه   ولقد يزهو بها آس وتوت

الدنيا بعـدك قفر وحشة   ما بها مأوى لقلبى ومبيت

خلَتِ الأكوانُ من بهجتها　　وامَّحت منها صفاتٌ ونُعُوت
لا تظنى شجوَها يَكرُبنى　　إننى فى الألم العاتى ربيت
كلُّ ما لاحَ لعينى رائعاً　　هو عندى بعد ما غبتِ مَقيتُ

زهدَ القلبُ الأمانى كلَّها　　وثوى يَصدِفُهُ عنها القنوتُ
غيرَ ذكرى صورةٍ أعبدُها　　أنا منها فى عذاب ما حَييت
الرزايا رصَّنَتنى خِبرةً　　والرزايا قد ترَبِّى وتُقيتُ
كلما حرَّقني جرحُ الهوى　　صاح قلبي: إن جرح الحب صِيتُ

يا لَهمٍّ مُستفيضٍ إن يَغِبْ　　ملكوتٌ منه يطلعْ ملكوتُ

لكِ فى قلبى طيفٌ ماثلٌ　　هو فى عينىَّ تمثال نحيتُ
غلَّفَ الأجفانَ ما يبرَحُها　　مشرقَ الساحة يجلوه الثبُوت

لم أكن أرضى بأفراح الورَى　　وأنا اليومَ بأوجاعى رضيتُ
تُنشِدُ الروحُ إذا طفتِ بها　　وإذا غِبتِ توَلَّاها الصموت
أنا كالشارد من فرْطِ الأسى　　مضَنًى همٌّ على العيش مُميتُ
نسجَ الدهرُ لحظِّى دارةً　　ربما أربتْ عليها العنكبوتُ

الأمانى الحائرة

لله كم من أمان بت أرقبها　　فيها يحاربنى دهرى وأيامى
تراكمت فهى أكوام مكدسة　　ليست تعد بأقلام وأرقام
أحدث النفس عنها كل آونة　　وما أحدثها فى غير أوهام
لهفى عليها وقد راحت تقاذفها　　يد المقادير من عام الى عام
ما إن نظرت اليها وهى حائرة　　إلا انثنيت بقلب صارخ دام
ألا تحقق لى الأيام أمنية　　حتى أودع أشجانى وآلامى
لكم أجمعُها حولى وأندبها　　بكل أنشودة حرَّى، وأنغام
مآرب كبياض الفجر باسمة　　حفَّت بعاثر جد غير بسام
ياحسنها من أمان لو يحققها　　دهرى، وما رجعت أضغاث أحلام

دار العلوم العليا　　محمد برهام

الســـاعة

وآلة تقطع الأيام سائرة
لا تبصر العين من تسيارها اثرا
أرى عقاربها اللاتى، تدور بها
عقاربا كل حين تلدغ العمرا
كأنها تبصر الاوقات راسمة
لها وما ملكت كفا ولا بصرا
تهاجم العمر دوما وهى ساكنة
والعمر يركض منها خائفا حذرا
نعدها من جماد وهى مدركة
من وقتنا ما اختفى عنا وما ظهرا
تطوى السنين وتجرى وهى ثابتة
وتمنح الناس ــ لكن لم تفه ــ عبرا
فان يكن اى سير فى المكان يرى
ففى الزمان مسير جاوز النظرا
ان صاغها من جمادات حجى بشر
فقد ترقت فاضحت ترشد البشرا
كأن دقاتها فى كل آونة
دقات قلب خفوق بالنوى صهرا
كأن فى جوفها قلب الزمان غدا
يدق مستعجلا من نفسه ضجرا
بقطع الخفق منه كل آونة
جزءا فتحسبه بالخفق منتحرا
بالخفق نحيا وذاك الخفق ينقصنا
جزءاً من العمر من ارواحنا انبترا
كأن دقاتها فى السير حشرجة
للدهر يلفظها جزء قد احتضرا

كأنما هي انفاس يرددها
دهر تأوّه اوذوعلة زفرا
كأن توقيعها المرنان وقع خطى
للدهر فى موكب نحو الفنا عبرا
يبغى الفرار من الساعات عقربها
خوفا على العمر ممن تتلف العمرا
لكن يعود اليها مكرها جزعا
كساكن قفصا أو موثق أسرا
ليت القلوب من الساعات قد وقفت
او ليت عقربها الجرار قد كسرا
حتى تمر بنا الاوقات سانحة
ماان نحس لها طولا ولاقصرا
وكى تمر بنا الاوقات عابرة
جسر الحياة وهذا البرزخ الخطرا
ماالعمر الا منام طال أم قصرا
فلا تقطع مناما فى الرقاد سرى
من يصح من نومه لم يلق غير أسى
وفاز بالسعد من فى حلمه سكرا

دمشق — احمد الصافى النجفى

قصر الأحلام

فى عالم الأحلام قد — شاهدت أعجب الرؤى
رأيتُ قصراً شاهقاً — بين الكواكب استوى
أبراجه من ذهب — مؤتلق مثل الضحى
أشجاره تحكى الزمرد — دالكريم فى النقا
ينبوعه يرسل ما — ءكاللجين فى الصفا
بلغته فى مركب — يجرّه بعض القطا
ثم دخلتُ ساحةً — كهالةٍ من السنى
تضمّ حوراً قد رفلـ — ـن فى الحرير والحُلَى
وقيل لى ذلك قصـ — ـر الخلد لو شئت البقا
أصحابه قد وهبوا — سعداً على طول المدى
لكن حبيبى لم أجده — بين ها تيسك الدُمى
فعدتُ أدراجى الى — دنيا الزوال والفنا
أبحث عن خلىّ بها — هناك فى عشّ الهوى

حسين شوقى

يا أم...

قد مزّقتْ صدرَها النبالُ — وهدّها السُّقْمُ والهزالُ
لبّيك يامصرُ ، لاتُراعى، — فِدًى لك المالُ والرجالُ
ياأمُّ لاتجزعى ، فانَّا — نَقضى، ليبقى لك الجلالُ
من نيلك الكوثر احتسينا — سُلافة سكرها حلالُ
تطوف بالفكر فى فجاج — يقصرُ عن نقشها الخيالُ
وتدفعُ الروح فى صَعيد — من عالم الوَهْم لايُنالُ
أروَعُ ما قد لمستُ فيه — حُرِّيَّة صاغها الجمالُ

لبّيكِ ياأمُّ هاكِ قلبى — آليتُ لن يَهدأ النضالُ
هيّا إلى الموتِ يافؤادى — أو يُصرَع الظلمُ والضلالُ

ما أكثر الأُمنيات عِندى — تجرى وما ضمّها مَجالُ...
يضيقُ دهرىَ عن رجائى — أينْسَرُ ماأنشدُ المُحالُ..!!

مختار الوكيل

بين الشك والايمان :

« شـــيللر »

للاستاذ خليل هنداوى

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

— ٣ —

فى عام ١٧٩٠ كتب شيللر الى صديقه « كاربز » الامين « ما أحوجنى الى رفيق يقيم معى ، ويقدر على اسعادى ، ونبديد وحشتى ونفى همومى ، وتجديد أيامى » وكأن الأقدار رغبت فى تحقيق رجائه فوهبته امرأة ما كان أدناها من هذا الصاحب الذى تمناه ، وفيها يقول « غوته » إن الجمال النقى يرتسم على ملامحها ، واشعة الطهر تلمع فى عينيها . هى كثيرة الاحساس بكل ماهو خير وجميل فى الحياة ، تغلب على مشاعرها الرقة والايناس . وكان تأثير هذه الصاحبة الامينة فى حياة شيللر شديداً ، فقد نفخت روحه بالأمل الذى هو سر الحياة ، وكتب اليها قبل زواجه منها ، أصبحت أرى نفسى متفتحة لكل ماهو خير وجميل . قد وجدت نفسى ... » وبعد زواجه كتب « الآن غلب على مزاجى الاعتدال . وأيامى تنقضى خالية من ثورة الاهواء ، صافية هادئة . وقد عدت الى أعمالى بنفس ملؤها الطمأنينة كعادتى السابقة » وهذا الذى عرفناه ثائراً ، شاكاً ، ناقماً على نفسه وعلى الناس تميل روحه للاستسلام وتغلب عليه السكينة ، فاذا ما عراه داء شكر ربه لأن يداً فوقه تبدى له من العطف اضعاف مايحس من الألم . وقد منحته السماء طفلا فقال « أحس بأنى أرى مشعل حياتى الذى بدأ ينطفىء ، يشتعل فى غيرى . اننى راض عن القدر » ويتجه قلبه الى أمه الكهلة التى يضطرم قلبها عليه حباً وحناناً فيكتب اليها « كل مايجعل حياتك سعيدة يجب أن يكون لك يا أماه ! وان الواجب يقضى على أن أنقذ روحك من كل ملل . بعد تلك الاتعاب التى ارهقتك يجب أن يكون مساء حياتك صافياً هادئاً .... »

استشاره رجل يريد ان يقبل على ذلك العلم الخطير (الفلسفة) فراح يصرفه عنه بقصيدة تصف مخاطر هذا العلم وطريقه الملتوية .

« وهل أنت متأهب مع سلطان برهانك الكئيب ؟

هل أنت ناضج الفكر لتظهر فى الهيكل الذى يحرس ... كنزه الخطير .

وهل أنت شاعر بما ستري ؟ وبأى ثمن سوف تشتريه ؟

وهل أنت موقن بأنك تبذل شيئاً لاتملكه لقاء شيء أكيد ؟

وهل تحس أن قواك كافية لمعركة هى أشد المعارك هولا !

تلك المعركة التى تثور بين القلب والروح والعاطفة والفكر ؟

وهل تملك جرأة وشجاعة تسعفانك فى قتال « ثعبان » الشك الخالد ، الكامن فى داخلك ؟

ألا فر ، وأمعن فى الارض فراراً ، اذا لم تكن واثقاً كل الثقة بالدليل الذى تحمله فى صدرك . فر من هذه الشواطىء المغرية قبل أن تلتهمك الهاوية ... كثيرون هم ارادوا أن يمشوا نحو النور فوقعوا فى ظلمات فوقها ظلمات .

ألا ان الطفولة تؤول حقاً بصاحبها الى نور الشفق ! »

إن هذه المقطوعة تبين أن الشاعر قد نقم على الفلسفة وسئم معنوياتها . واستغنى عن هدايتها . وكان موفقاً كل التوفيق فى تمثيله مخاطرها . ولكن هل كانت الفلسفة كلها شكاً يعذب ويؤلم ؟ ولكن هل تكون الحياة — وجميع ابوابها مغلقة — الا هذا الشك المؤلم ؟

والشاعر يبدى رأيه أكثر وضوحاً فى هذا النوع من الفلسفة فى مقطوعته « صورة سايس المحجوبة »

وهذه هى المقطوعة : (١)

هجر الدار ، ولم يعبأ بما ستذوق النفس من برح الألم
جاعلا وجهته مصر ، لكى يفهم الاسرار ممن قد فهم
هذه « سايس » قد أرخت على وجهها الف حجاب تلتثم
كل من يطلب يوماً ان يرى وجهها يبلى بأنواع السقم
لم يزد صاحبنا الا جوى زاد فى القلب لهيباً وضرم
غافل الكهان عنها ليلة وتوارى تحت أسدال الظلم
رفع الاستار عنها ورأى ... (هل رأى حين رأى غير عدم) ؟

* * *

لم يقل عما رآه ، وثوى بخشوع تحت أقدام الصنم
فبراه السقم حتى شفه وتردى جسمه حتى انهدم

---

(١) كتب (فرانك هاريس) هذه المقطوعة كقصة بعنوان (حجاب ايزيس) . وعربها الاستاذ سلامه موسى فى العدد السادس من الاسبوع .

قال : ويل للذى يطلبها بطريق منكر : ثم وجم !

° ° °

وفى هذه القصيدة غموض يحاكى غموض الحقيقة . والفقرة الاخيرة منها تدل على ما ساور روح الشاعر من الندم الممض والألم العنيف . ولكن لماذا الندم ؟ هل ندم على معرفة الحقيقة ؟ ولكن هل هى الحقيقة الكامنة وراء الحجاب عرفها ؟ ! كنا نود ان نعرفها كما عرفها ، ونتذوق بعد ذلك ما تذوق الرجل فى سبيل معرفتها - ولكننى أخشى من ان الرجل لم ير - وراء التمثال - الا ما يحمل مادة التمثال ! والوثنيون انما يعبدون من التمثال ما نسجت قلوبهم وراء ملامحه من اقداس وطهارة . ولو انهم تمثلوا ما يبدونه - بعقولهم - لما رأوا الا حجارة مسندة لا تضر ولا تنفع . وهؤلاء وغيرهم ممن ينشأون فى كل عصر انما يعبدون ما تصوره لهم قلوبهم وترسمه نفوسهم ، وهل تساوى اثنان من شريعة واحدة فى عبادة واحدة ؟ ذلك يتمثل فى صلاته شيئا لا يتمثله الآخر ، مع ان الصلاة واحدة والوجهة واحدة . وسر هذا الخلاف يعود الى ما يتمثله هذا القلب المباين لذلك القلب فى كثير من ضروب التفكير والشعور . وما اكثر اولئك الذين اذا منعتهم عن عبادة تماثلهم المقدس ! وأريتهم حقيقة عارية ، تقتل أمانيهم وتهدم حياتهم ، فيودون لو بقوا فى جهالتهم سادرين ناعمين ! !

هذه الحقيقة التى تكاد تمثلها هذه القطعة هى حقيقة العدم ! ولكن هل اراد الشاعر ان يصل الى هذه الحقيقة ؟ انه وصل اليها طوعا أو كرها ، ولكنه ندم لانه اضاع قيمة حياته ! وهو انما يريد ان يعرف شيئا من الحياة هو اقدس واسمى من حقيقة الفناء !

ما كان أدنى شيللر بهدوئه وكآبته الصامتة فى أيامه الاخيرة من هذا الرجل الذى أخذ يتلاشى بعد معرفته الحقيقة ، فقد اخذت حوادث الدهر وصور الموت تجوز الى نفسه ، وهذه مقطوعة (الناقوس)

(فى فناء الكنيسة تتهادى رنات الناقوس ! تلك الرنات العالية التى ترافق اغانى القبر . تنبىء عن عبور المسافر الذى مضى الى ملجئه الاخير . وا أسفاه ! ! هذا المسافر هو زوجة عزيزة ! أو أم اختطفها الموت من حضن زوجها ، ومن بين اولادها الذين منحتهم السعادة والغبطة ، وارضعتهم بمحبة ورفق . هذه الروابط الجميلة تقطعت الى الابد

لانها نزلت الى مثوى مظلم عميق ... هذه الأم !)

كانت هذه القصيدة بعد ثلاثة اعوام لسان حال شيللر فى الحوادث التى تتالت عليه ، فقد غادرت امه الوجود ، هذه الام التى كانت كلما ازدادت عمرا ، ازدادت عطفا على ولدها . كتبت له فى كتابها الاخير « لا يوجد ولد - كمثلك - فى الوجود » وأخذت صورة ولدها قبل أن يغتالها الموت وضمتها الى صدرها ضما شديداً ، واشبعتها لثما وتقبيلا ، وماتت يشرف على قبرها صليب حجرى نقش عليه هذه الكلمة « أم شيللر »

أما الشاعر فقد تسرب اليه اليأس ، وزادت عليه الأسقام حتى خرب صدره وخارت قواه وفسدت رئته . وهو - برغم ذلك - يريد ان يغلب على هذه المحن ناظرا الى غده الزاهى . ولكن المرض المبرح ضن عليه بكل شىء حتى بنعمة الأمل . فى شتاء عام ١٨٠٥ استسلم للألم صامتا راضيا هادئا . ولكن ثورة الشك فى اللحظات الأخيرة طغت على نفسه وروحه ، أقلقها تساؤلها عن العالم الثانى : سمعه بعض عواده فى اغراقة من اغراقات الحمى يهتف « أهنالك جحيمك ؟ أهنالك سماؤك ؟ ولكن السكون المغمور بالملل والتعب غلب عليه فاستسلم ، وما الموت الا استسلام . وفى الأمسية الأخيرة سألته أخته القائمة على سريره « والآن كيف أراك ؟ فأجابها بصوت خافت : « أرانى دائما أكثر هدوءاً » فكانت هذه الجملة هى آخر ما لفظت شفتاه ، ثم سكنت ملامحه ، وارتعش رأسه ارتعاشة واحدة ، ثم سكن منه كل شىء وهو فى الخامسة والأربعين .

ما كان أقدس هذه الكلمة ؟ وما كان أكبرها باعثاً للهدوء فى النفوس المضطربة . ولكننا لا نعلم : أهو هدوء الايمان ، أم هدوء الملل والقنوط .

هذه الكلمة وحدها تمثل كل حياة الشاعر وهى :

« أرانى دائما أكثر هدوءا »

دير الزور : خليل هنداوى

معرض مصرى

يعد المجمع المصرى للفنون الجميلة عدته لافتتاح معرضه الأول لفصل الشتاء فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤ بأنخم سرايات العرض المصرية ، وهو قاصر على الفنانين المصريين . وليتفضل كل من له رغبة فى الاشتراك بتقديم معروضاته بادارة المجمع بشارع عبد الحق السنباطى رقم ٥ (الأوبرا) وذلك حتى ١٥ فبراير .

العلوم

نباتات التربة المجهرية

للاستاذ يونس سالم ثابت
مدرس النبات بكلية العلوم

لاشك فى ان التربة هى مصدر الحياة ، واليها المرجع، وهى ليست آهلة فقط بمختلف النبات الذى نراه فى غدونا ورواحنا ، ولكنها تعج بكثير من دقيق النبات الذى لا يرى الا بالمجهر

وتنتمى النباتات المجهرية فى التربة الى الطحالب والبكتيريا والفطر ، فالطحالب تحتوى أجسامها على مادة الخَضير (الكلوروفيل)وهى المادة التى تكسب النبات اللون الاخضر والتى تساعده على أخذ المجهود اللازم لنموه من غاز الكربون الجوى عند تعرضها لضوء الشمس

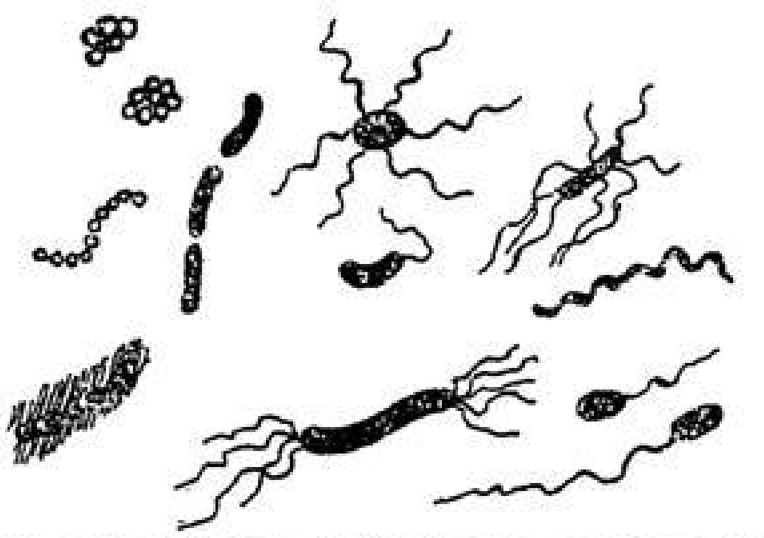
وطحالب التربة صغيرة الحجم مختلفة الشكل بسيطة التركيب تنتشر على سطح الأرض وتكسيها أحيانا لونا أخضر أو بنيا داكنا وقد تعيش داخل التربة بعيدة عن ضوء الشمس ، وفى هذه الحالة تستمد غذاءها الكربونى من مصادر غير الهواء الجوى .

والطحالب تساعد كثيرا على تهوية الأرض فعندما تقوم بعملية التمثيل الكربونى تأخذ غاز ثانى أكسيد الكربون من التربة وتطرد غاز الأوكسجين وبذلك تصبح التربة أكثر صلاحية لنمو الكائنات الأخرى ـ ويشاهد ذلك بنوع خاص عند زراعة الأرز . فقد شوهد أن وجود كميات وافرة من الطحالب فى مياه حقول الارز يجعل الماء مشبعا بالأوكسجين ، ووفرته ضرورية لتنفس جذور الأرز . فاذا قلت كميات الطحالب قل المحصول

والطحالب تزيد المادة العضوية فى التربة وتقوم أحيانا بتفتيت الصخور

أما البكتيريا فيظن كثير من الناس انها إن هى الا كائنات مجهرية تسبب معظمها أمراضا ، فهى كثيرة الضرر قليلة الفائدة ، ولكن الحقيقة هى انها فى التربة على عكس ذلك حيث نرى ان نفعها فيها أكثر من ضررها

والبكتيريا أجسام دقيقة جداً لا يرى أكبرها حجما إلا بالمجهر حيث يكون طوله حوالى $\frac{1}{100}$ من المليمتر . وهى تختلف فى الشكل من كرية إلى عضوية أو حلزونية وكثيراً ما توجد لها أهداب غاية فى الدقة تساعدها على الحركة



(أ)

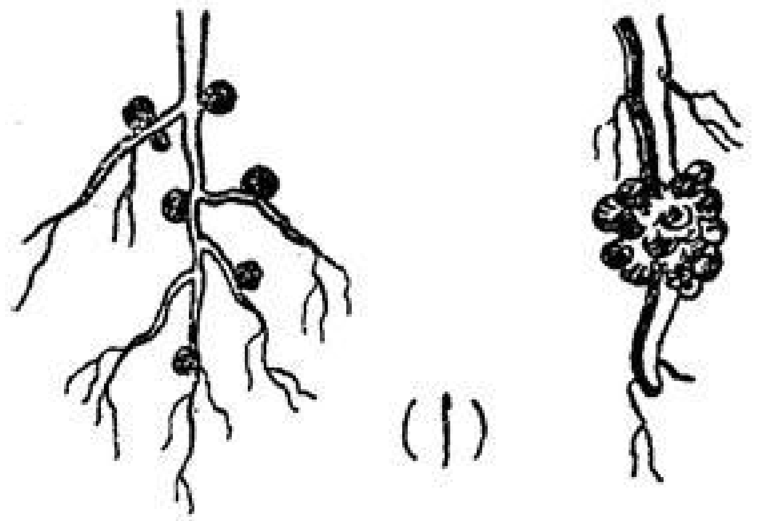
(ب)

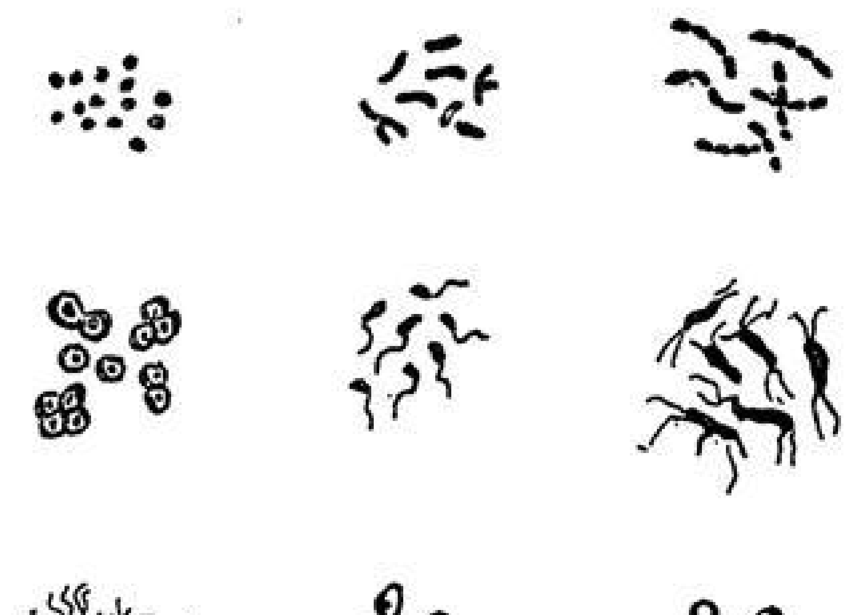
(ا) أنواع من البكتيريا
(ب) طول قطر شعرة إنسان للمقارنة

والبكتيريا تقوم بأعمال شتى فى التربة ، فمنها ما يحول المواد العضوية نباتية كانت أو حيوانية الى مواد أخرى بسيطة التركيب . ومن بين هذه الأخيرة غاز ثانى اكسيد الكربون الذى ينتشر فى الجو ، وكذلك غاز النشادر ذو الرائحة النفاذة الخاصة ، وغاز النشادر لا يَصلح غذاء لمعظم النباتات الخضراء

وعلى ذلك يقوم نوع خاص من البكتيريا بتحويله الى حمض الازوتوز ، وهذا المركب الأخير يتناوله نوع خاص آخر من البكتيريا ويحوله الى حمض الأزوتيك ، واملاح هذا الحمض « الازوتات » هى الغذاء الصالح للنبات الأخضر

وكذلك يعلم الزارع بعد طول تجربته أن نباتاً كالفول أو البرسيم أو الترمس وأشباهها اذا زرع فى أرض زاد من خصوبتها ، ولذلك فهو يراعى دائماً هذه الظاهرة عند ترتيب الدورة الزراعية للحاصيل . أما سبب ازدياد الخصوبة فهو ناتج من نشاط نوع من البكتيريا تسمى بالبكتيريا العقدية ينفذ من التربة الى انسجة جذور نبات الفول مثلا ويعيش هنيئا فى تلك الأنسجة .



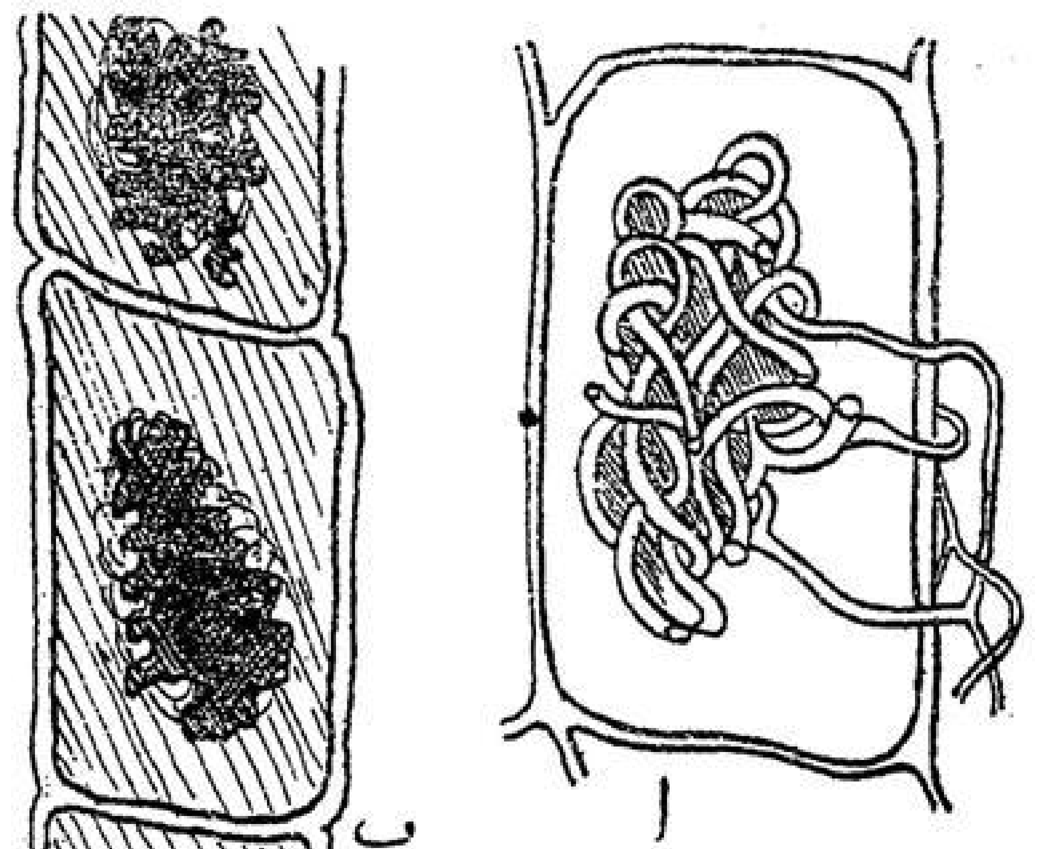


(ا) عقد فى جذور البرسيم والترمس
(ب) أصناف من البكتيريا العقدية

وهذا النوع يمتص غذاءه الكربونى من الجذر وغذاءه الأزوتى من الهواء الجوى الذى يوجد بين الأنسجة أى أنه لا يتغذى من الأزوت الموجود فى التربة . وتكون نتيجة هذه العملية ظهور انتفاخات صغيرة أو عقد على جذور الفول . فبعد الحصاد تتحلل الجذور بما عليها من العقد فتزداد فى التربة كمية الازوت المركب.

أما الفطر فهو عبارة عن خيوط دقيقة متفرعة لا لون لها تعيش بين أنسجة النبات الراقى أو بين المواد العضوية الموجودة فى التربة وهى منتشرة فى الطبقات السطحية ويقل وجودها فى الطبقات العميقة . والفطر تقوم بتحويل المواد الكربوادراتيه (كالخلوز وغيره) الى مواد بسيطة التركيب ، واليها فقط يعزى مثل هذا العمل النافع فى الاراضى الزراعية . وفضلا عن ذلك فهى تقوم بتحويل المواد العضوية الازوتية الى مواد أبسط منها تركيبا كالنشادر . وتساعد أيضا على إذابة المادة المعدنية الموجودة فى التربة وربما فاق عملها فى هذه الناحية عمل الشعيرات الجذرية فى النباتات الراقية .

وهناك ظاهرة أخرى أخذت تثير كثيرا من الاهتمام فى السنين الأخيرة وهى أن بعض الفُطُر الموجود فى التربة يكوّن مع جذور بعض النباتات أجساما غريبة تسمى جذورا فطرية وهذه تتكون من أنسجة الجذور ومن خيوط الفُطُر .



(ا) خيوط الفطر داخل خلايا الجذر
(ب) الخيوط أثناء عملية الهضم

ويعيش كلا الفردين (الجذر والفطر) عيشا رغدا ما داما

مجتمعين ولكن فى كثير من الاحيان لا ينمو أحدهما نموه العادى إذا انفصته الظروف عن رفيقه . ويقوم الفطُر فى الجذر الفطرى مقام الشعيرات الجذرية أى أنه يمتص المادة المعدنية من التربة ويرسل بها الى الجذر وفى مقابل ذلك يمد الجذرُ خيوط الفطُر بالمادة العضوية اللازمة لها . فنرى اذن أن المنفعة بينهما متبادلة . فضلا عن القيام مقام الشعيرات الجذرية فإننا نجد أن كثيرا من خيوط الفطر تهضمه خلايا الجذر (ش٣) وبذلك يكون الفطر موردا داخليا لغذاء الجذر .

يونس سالم ثابت

شذرات

صعدة فى الجو جديدة

فى عام ١٩٣٢ أطلق ريجنر Regeuer الجو بالونات من المطاط تحمل اجهزة علمية تسجل ما تسجل من ذات نفسها فبلغ علوا قل الضغط عنده الى ٢٢ م . م . وصعد البالون الروسى الحديث يحمل بروكوفيف Prokofiev ورفاقه فبلغ حسبما قدروا علوا قدره ٦١٠٠٠ قدم أى ما يعدل ضغطا قدره ٥٠ م.م

وفى الخريف الماضى ارتفع امريكيان ببالونهما الى ضغط قدره ٦٤ م.م. ـ أما البلجيكيون كوسينس Cosysn و كيفر Kipfer وبيكار Piccard فأقل ضغط سجلوه بلغ ١٣٠ م . م . ـ واليوم تأتى الاخبار بان محاولة جديدة ستكون يرجى فيها الصعود الى أعلى من ٦١٠٠٠ قدم وهى الطبقة التى بلغها الروس .

فى الصعدات القديمة كان الطائرون يغلقون أنفسهم فى حجيرات مكورة محكمة السدّ . أما فى هذه المحاولة الجديدة فسيركب الطائرون فى سلة البالون العادية المفتوحة ولكنهم سيلبسون بذلة من المطاط الرخص تغلّف أجسامهم تغليفا تاما فلا تتصل بالجو الذى يبلغون . وبما ان هذا الجو سيكون قليل الضغط وبما أن هذا سيؤدى الى انتفاخ تلك البذلات لما بها من هواء صعدوا به من سطح الارض لذلك ستفرغ تلك البذلات من بعض هوائها ، وذلك إلى الضغط الذى يحتمله جسم الانسان فى أثناء تنفسه من الاكسجين . والطائر على هذا الحال سيستطيع الحركة والتنقل فى شىء كثير من الحرية وإذن سيتمكن من معالجة أجهزته وتسجيل ملاحظاته عن الجو بما وهى ذات مساس بالجو نفسه لا محجوبة عنه كما كان الحال فى الصعدات السابقة . وباستخدام السلة المفتوحة مكان القارب المغلق الثقيل سيخف الوزن كثيراً فيزيد لاشك العلو الذى يرجى بلوغه

ومما يذكر عن الرحلة الروسية أنهم اكتشفوا أن تركيب الهواء فى تلك الطبقات العالية هو نفسه تركيب الهواء على سطح الارض ، وأن الرطوبة نقصت على حدود الاستراتوسفير Stratosphere الى ٤٢ فى المائة وقد كانت ٩٢ على سطح الأرض ، وفى الصعدة الجديدة المزمعة سيحملون معهم جهازاً لقياس الطيف Spectrometer لتسجيل نور الشمس هناك وضوء السماء وجهازاً لتقدير حرارة الشمس Pyrheliometer واجهزة لأخذ عيّنات من الهواء وكرات وكل هذه الأجهزة لتُشغل بالايدى الطليقة فى الجو الطلق لا فى داخل الحجيرة الحبيسة كما كان الحال . ولكن مما يؤسف له ان العين والأذن لابد من تغطيتهما فلا تُرى الاشياء ولا تسمع الا من وراء الزجاج . فاللون البنفسجىّ الغميق الذى رآه الطيارون البلجيكيون والروس سوف لا يراه الطيارون الجدد الا من دون الزجاج .

ولعل أرجى مايرجى فى هذه الرحلة الجديدة سيكون ما اقترحه الدكتور لوسينس من استخدام خزانة ولسن فى اخذ صور فوتوغرافية لأشعة ب Beta وللاشعة العالمية Cosmic فأصل هذه الأشعة الأخيرة لا يزال مجهولا

أزمة الضباب

من متاعب الملاحة الضباب لا سيما فى البحار الشمالية ، ومن آخر ماحاولوا فى التغلب على مصاعبه : استعاضة الكرة

(البقيـــة على صفحة ٢٧٢)

العالم المسرحي والسينمائي

كلمة صريحة

حول الاعانة الحكومية للمسارح

لناقد « الرسالة » الفنى

لم تكن للحكومة – الى سنوات قلائل – اية صلة بالمسرح المصرى وبالعاملين فيه . وكانت دار الاوبرا الملكية ملحقة بوزارة الاشغال فكأنها كانت فى نظر الحكومة بناية من المبانى لادارا للفنون والآداب . وبقى الامر على هذا المنوال حتى وزارة الوفد الاولى التى كان يرأسها المغفور له صاحب الدولة سعد زغلول باشا فرأى مرقص حنا باشا وزير الاشغال ان يولى المسرح فى مصر قسطا من عنايته واهتمامه ، فكانت المباراة الاولى التى اشترك فيها مديرو الفرق والممثلون والممثلات ، وكانت هذه المباراة هى اول اتصال مباشر بين الحكومة والمسرح .

وقد ذكرنا فى كلمة لنا « حول أزمة المسرح فى مصر » كيف اضطربت سياسة الحكومة فى اتصالها بالمسرح فعدلت عن طريقة المباراة بعد ان اقامتها عامين متواليين على ما نذكر الى سياسة الاعانة السنوية ، وألفت فى وزارة المعارف – بعد ان الحقت بها دار الابرا واصبحت هى الوزارة المشرفة على الشؤون الفنية – لجنة تتفقد المسارح وتقدر للفرق وللمثلين المبالغ التى تمنح لهم فى حدود الاعانة المقررة .

وسارت الوزارة فى هذه الخطة سنوات برغم ما ظهر من فسادها وعدم جدواها ، وبرغم صيحات الاستنكار التى رددها الكتاب والنقاد طوال هذه السنين . ويكفى ان نلقى نظرة عجلى على حالة المسرح المصرى اليوم لنرى ان النقاد كانوا على حق فى انتقاد هذه الطريقة ، فلقد سار المسرح من سىء الى اسوأ فى هذه السنوات الاخيرة رغم ما بذلته الحكومة من اعانات سنوية ، فلو أن هذه الطريقة كانت مجدية لاعانت على النهوض بالمسرح وعلى انتشاله من الهوة التى تردى بين جنباتها ، ولكن حال المسرح قبل الاعانة كان خيرا منه بعدها ، وفى ذلك ما يدعو للعجب حقا ولكنها دلالة حاسمة على اية حال على فشل طريقة الاعانة .

وكأن الوزارة ولجنة الاعانة تنبهتا أخيرا الى هذه الحقيقة بعد أن ظهر جليا ان الاعانة لم تثمر الثمرة المنشودة ، وان المسرح قد هوى الى الحضيض وانصرفت الجماهير عنه حتى اضطرت الفرق الى اغلاق دورها حيال الكساد الذى منيت به . تنبهت الوزارة اخيرا الى الحق اذ صدمت بالواقع الملموس فرأت أن تعدل عن خطتها القديمة الى خطة أخرى ، وقد نمى الينا ان لجنة الاعانة فى اجتماعها الاخير فى الاسبوع الماضى فكرت فى تكوين فرقة من جميع المشتغلين بالمسرح من رجال وسيدات تحت اسم « فرقة اتحاد المسرح المصرى » ، وقد عرضت الفكرة على مديرى الفرق الذين حضروا الجلسة فوافقت اغلبيتهم عليها وابدوا استعدادهم للانضمام اليها وشكلت لجنة فرعية لتضع تفاصيل المشروع بالاتفاق مع مديرى الفرق على ان يبدأ فى تنفيذه فى الحال وعلى ان تخص وزارة المعارف هذه الفرقة بالاعانة السنوية كلها .

ونحن نسجل هنا أولا عدول الوزارة عن خطتها القديمة ، وهذا اعتراف صريح منها بفشلها ، وهى خطوة طيبة على أية حال . أما فكرة تأليف فرقة تضم جميع المشتغلين بالمسرح فمن العسير أن نكون لها أو عليها قبل أن نطلع على تفاصيل المشروع وعلى النظام الذى سيوضع لهذه الفرقة . والفكرة من حيث هى لا بأس بها ، بل لعلها العلاج الوحيد لانتشال المسرح من الوهدة التى سقط فيها ، وتضافر هذه القوى مجتمعة له خطره ولا شك ، وهذه الفرقة إن تحقق وجودها ستجتذب الشعب اليها ما فى ذلك ريب ، وستكون تحت تصرفها بطبيعة الحال طائفة صالحة من الروايات تمثلها . وأعنى الروايات الانموذجية التى ترجمها بعض الادباء تحت

اشراف الوزارة عن شاكسبير وابسن وموليير وراسين وغيرهم من أقطاب الفن المسرحى فى العالم ، كما أن مبلغ الاعانة سيكون العماد الذى يمون الفرقة بما تشاء من وسائل الاستعداد المسرحى فى المناظر أو الملابس أو الادوات المسرحية جميعا على اختلافها وتنوعها . وفى النهاية نستطيع أن نقول أن هذه الفرقة تتوافر بين يديها من القوى المادية والمعنوية ، ما ينهض بها الى الذروة الفنيـــة التى نطمع فيها وينشدها أنصار المسرح وهواته فى مصر .

قلنا ان الفكرة من حيث هى فكرة حسنة لابأس بها فى مجملها ، ولكنها ككل فكرة فى العالم قد لا يعدو جمالها الخاطر والفكر فاذا لم تخرج للناس فى الثوب القشيب الذى يلائم جلالها وخطرها بدت شوهاء ووئدت فى مهـدها وكان الفشل نصيبها المحتوم وهذا ما نخشاه .

على ان الوزارة اذا أخذت بالحزم ووضعت لهذه الفرقة نظاما داخليا محكما يضع الكل على قدم المساواة وعهدت بتنفيذه الى ايد مخلصة قديرة لا تعرف الاغراض سبيلا اليها ولا الاهواء مدخلا الى قلوبها ، واعلنت انها ستأخذ بالشدة والعنف كل من يحيد عن هذا النظام وتقصيه عن العمل وتحرمه حرمانا مطلقا من اعانتها ، لو احس القوم هذه النية الصادقة وهذه الارادة القوية والعزم النافذ من الوزارة ، لسارت الامور على احسن مايرام ولرجونا لهذه الفكرة النجاح والتوفيق . وأخوف ماأخافه ان تلين قناة لجنة الاعانة ويجد فيها البعض مغمزا يهدمون عن طريقه هذه الفكرة ، أولعلهم ينتظرون حتى يخرج المشروع الى حيز الوجود وتبدأ الفرقة عملها فيضربون ضربتهم .

على أن من الخير أن تعلن الوزارة من الآن فى لهجة حاسمة أنها عدلت نهائيا عن خطتها القديمة ولن تتبع سياسة توزيع الاعانة بين مديرى الفرق والممثلين بأية حال ؛ وان هذه الفرقة « فرقة اتحاد المسرح المصرى » هى التى ستخصها بأعانتها كلها ، فاذا لم تتألف هذه الفرقة فلن ينال أحد مليما واحدا من الوزارة . وانى لا اعتقد — فى رأيى الضعيف — ان كلمة كهذه من الوزارة سيكون لها صداها فى جميع الأوساط ، وستكون من أكبر العوامل فى انجاح المشروع ، واشد ما أخشاه أن تنكص لجنة الاعانة ، إذ تصطدم فى خطاها الأولى لتحقيق مشروعها الجديد ببعض العقبات فتفضل العافية والراحة على الجهد ومقاومة الصعاب ، وتقرر صرف الاعانة على النحو المتبع فى السنوات الماضية . وان تفعل لتكونن قد اجرمت فى حق الفن وفى حق هذا البلد الذى يطمع أن يكون له من مظاهر الثقافة الحقة ما لغيره من سائر البلدان .

سيناريو سينمائى

لبيت أمير الشعراء أحمد شوقى بك

نظرة ، فابتسامة ، فسلام فكلام ، فموعد ، فلقاء

من وضع ناقد « الرسالة » الفنى

١ — منظر مقرب لعدسة منظار .. يظهر فى العدسة شبح فتاة جالسة ، المنظر يبتعد قليلا قليلا فتظهر اجزاء المنظر المختلفة

٢ — الضوء نهارا .. منظر مستدير لفتاة على شرفة منزل جالسة مطرقة ورأسها الى الارض تطرز ... المنظر يبدو أولا من بعيد جداً .. ثم يقترب ويقترب حتى يملأ الشاشة

٣ — شاب وراء نافذة وهو مغلق الشيش وينظر من خلفه بحذر وبلهفة .. بيده منظار

٤ — كيوبيد إله الحب ومعه جعبـــة سهامه .. يخرج سهما ويرشقه

٥ — الشاب لايزال ينظر من خلف الشيش . يتراجع قليلا الى الوراء ويضع يده على قلبه

٦ — الفتاة لا تزال تطرز .. تستريح وتضع الشغل جانبا .. ترفع رأسها .. تظهر علائم الخجل على وجهها . تجمع شغلها فى ارتباك ظاهر وتجرى مسرعة الى الداخل

٧ — الفتاة من الداخل أمام شباك الشرفة وهى تقفله .... قبل أن ترد المصراع نهائيا تنظر الى الخارج نظرة أخيرة فى خلسة وحذر .. فجأة ترد المصراع فى غضب ظاهر ولكنه مفتعل ... بعد قفل المصراع تعطى ظهرها له وتقف مستندة اليه ... النور

كله محصور فى الوجه . . . على ملامح الوجه الاستنكار ولكن فى شىء من مظاهر الطفولة . . . يخف هذا الاستنكار شيئاً فشيئاً ويتحول بعد قليل الى شىء من الرضا . . .

تبتسم . . . يضاء الجسم كله . . . تظهر عند قدميها وردة . . تنظر اليها على مهل . . . تنحى وتأخذها . . . تأملها . . تشمها . . . تقبلها .. فجأة كأنها خجلت من نفسها فتضع الوردة فى صدرها وتجرى حيث تختفى

٨ ـ باب الشرفة حيث كانت الفتاة واقفة . . . النور يغمره . . . يخفت النور قليلا قليلا . . . يظهر شبح كيوبيد يبتسم .. . يأخذ سهما من جعبته ويرشقه فى الاتجاه الذى سارت فيه الفتاة . . . النور يخفت قليلا قليلا . . . المنظر يبتعد ويرى كيوبيد يضحك فى انشراح

٩ ـ على شاطىء النيل . . . أناس متفرقون . . . قليلون . . . شبان . . . فتيات . . . يمشون على مهل . . . يتنزهون

١٠ ـ الفتاة آتية من بعيد مع طفل صغير يشبه كيوبيد . . . تقف أمام النيل ساهمة

١١ ـ الشاب قادم من بعيد يمشى على حذر كأنه يتبع انسانا ما ... يسرع فى مشيته . . . يتمهل . . . ينظر أمامه . . . كأنه رأى من يريد فيسرع فى المشى

١٢ ـ الفتاة تتحرك وتمشى على مهل ... وإلى جانبها الطفل ... تلتفت فجأة خلفها ... ثم يظهر عليها الارتباك ... تمسك بيد الطفل وتسرع فى المشى ... يسقط منديلها من يدها دون أن تشعر

١٣ ـ المنديل على الارض .. الشاب يسرع لالتقاطه . يقف لحظة .. ويسرع فى المشى



١٤ ـ الفتاة والطفل .. يمشيان بشىء من العجلة ... الشاب يتقدم نحوهما فى هيئة المتردد .. الفتاة تنظر خلفها ... فتراه ... يزيد ارتباكها كما تريد المضى فى سيرها ... الشاب يسرع اليها ... يمد يده بالمنديل ... الفتاة تنقل النظر بين الشاب وبين يده الممدودة بالمنديل .. تمد يدها على مهل لتأخذ المنديل ... تحنى رأسها علامة الشكر ... الطفل يتقدم نحو الشاب ويمسك بيده ويجره للمشى معهما . . الثلاثة يمشون سويا ... الارتباك ظاهر على الشاب وعلى الفتاة بينما يضحك الطفل الصغير فى خبث ... يمشون صامتين ... يبدأ الشاب بالحديث مع الفتاة . . . كلمات قليلة ... ترد عليه ورأسها الى الارض ... يمشون قليلا وهم يتحدثون ... يظهر عليهم التبسط فى الحديث .. تظهر الألفة .. فجأة تقف الفتاة وتمد يدها مودعة للشاب الذى يمد يده . . بالسلام . . الطفل يمد يده للشاب مسلما .. الشاب ينحنى ويقبله .. تمضى الفتاة مع الطفل ... الشاب واقف فى مكانه يتبعهما بنظراته ... تختفى الفتاة والطفل

١٥ ـ الشاب وحده واقف يفكر . . . يبتسم . . . ينظر أمامه . . يمشى فى هدوء

١٦ ـ الوقت ليل . . . ضوء القمر يغمر كل مكان . . حديقة زاهرة . . . النسيم يميل الاغصان فى لطف . . . صوت غناء هادىء جميل من بعيد . . . يتخلله صوت خرير مياه

١٧ ـ الفتاة فى شرفتها واقفة ورأسها مسند الى النافذة وعيناها تنظران فى الفضاء . . . ضوء القمر يغمرها

١٨ ـ نافذة يلمع من ورائها نور كهربائى . . . يطفأ النور ويعم الظلام

١٩ ـ الفتاة فى موقفها فى المنظر (١٧) تستيقظ من غفوتها وأحلامها وتنظر أمامها . . . الى بعيد . . . نظرة ساهمة حالمة . . . تتقدم الى سلم الشرفة

٢٠ ـ سلم الشرفة الهابط الى الحديقة . . . الفتاة تنزل عليه بهدوء وحذر وهى تتلفت خلفها

٢١ ـ اقدام رجل تمشى فى الحديقة على مهل . . . تمشى . . . تقف . . . تدور . . . تمشى

٢٢ ـ اقدام سيدة تمشى على مهل ... تقف ... تتقدم منها اقدام الرجل ... الاقدام الاربعة أمام

بعضها على مسافة قصيرة ... تقترب ... تقف وهى مواجهة .. تتقدم أقدام الرجل الى محاذاة أقدام السيدة ... وقوف لحظة .. تمشى الاقدام الاربعة معا .. يسمع صوت ناى من بعيد ... خرير مياه

٢٣ — مقعد حجرى وسط الحديقة تحت نخيلة جميلة .. يظهر خلفه سور الحديقة ... القمر يغمر المكان بالنور ... الأقدام الاربعة متجهة نحو المقعد ... تظهر تحته وكأن صاحبيها جالسان عليه

٢٤ — فى الشارع ... الى جانب سور الحديقة خفير يمشى ذهابا وايابا ... ينظر الى داخل السور ... يمعن النظر باهتمام شـديد ... يبتسم ... يبتسم ببلاهة مضحكة ... يبتعد على مهل ... وهو ينظر خلفه ويبتسم ويبرم شاربه

٢٥ — الاقدام تحت المقعد ... تتساقط عليها بعض الورود منثورة ورقا

٢٦ — كيوبيد من بعيد يضحك وهو سعيد جداً وظاهر عليه الفرح الشديد ... المنظر يقترب رويداً رويداً ... جعبة سهامه الى جانبه على الارض ... يمد يده فيأخذها ... يحملها على كتفه .. يمشى ... يختفى ... الضوء يخفت قليلا قليلا ؟

 محمد على حماد

ازمة الضـــباب

(بقيـــة المنشور على صفحة ٢٦٨)

عن العين رجاء أن تنفذ عين الكمرة فى طبقاته الكثيفة الى أبعد مما تصل عين الانسان . ففى الأيام الأخيرة ركبوا فى السفينة الأمريكية الكبيرة « منهاتن Manhattan » كمرة تحس أفلامها أشعة مادون الأحمر ، وفى هذه الكمرة وسيلة ميكانيكية تتوضح الصورة بها وتتثبت من نفسها فتخرج تامة كاملة بعد دقيقة من كشف الكمرة . والى الآن لم تصادف السفينة العظيمة المذكورة حالة جوية لاجراء التجارب المقصودة ، فاذا هى صادفت هـذا الجو فلا شك أن النتائج ستكشف القناع عن الدرجة التى بهـا يستطيع الملاحون الاهتداء بالكمرة مكان العين والنهار حالك والبصر كليل .

التناسل فى فيراكروز

فى ديسمبر سنة ١٩٣٢ صدر قانون الأنســـال فى مقاطعة فيراكروز بالمكسيك ، وهى أكثر المقاطعات سكانا . وبهذا القانون تأسس مكتب للتناسل وصحة العقول ، واندمج فى مصلحة الصحة فاكتسب بذلك من قوة الحكومة والسلطان الشىء الكثير . وبتأسيسه افتتحت مراكز لضبط النسل وتعقيم من ليسوا أهلا للأنسال ، سواء لضعف فى الأبدان أو العقول . وهذا الاصلاح حلقة فى سلسلة بدأها حاكم تلك المقاطعة منذ تولاها ، فقد أغلق « الصالونات » وجعل تعليم التناسليات إجبارياً فى المدارس ، وعلاج الأمراض الجنسية كذلك ، وأمر الاطباء أن يتدخلوا فى الزواج قبل أن يتم ، وفى الطلاق كذلك ، فيكون له قوة على العقد وقوة على الحل اذا تعارض ما انعقد والصالح الخاص أو العام . وهكذا نجد من الأمم الأقل من هو أسبق الى الاصلاح وأجرأ عليه من الأمم ذات القدم الراسخ فى الحضارة والمكان المستقر من المدنية .

القصص

عنترة

مأساة شعرية فى خمسة فصول

لفخر الشرق المرحوم شكرى غانم

ترجمة الأستاذ محمد كامل حجاج

ينتمى هذا الشاعر العبقرى إلى أسرة عظيمة لبنانية ، وقد نبغ فى الشعر الفرنسى وله ديوان فرنسى ظهر حوالى سنة ١٩٠٠ ، وروايتان مثلتا بالاوديون سنة ١٩٠٥ فى فصل واحد وهما « ورده » او « زهرة الحب » و « ربع ساعة من الف ليلة وليلة » ورواية قصصية كبيرة تسمى « دعد » ، واهم رواياته التمثيلية عنترة وقد ابت عليه قوميته الا ان يبتدىء بتمثيلها على مسرح شرقى فاختار الاوبرا الملكية المصرية ولحسن حظه كانت فرقة الكوميدى الفرنسية فى ذلك الوقت مؤلفة من اعظم الممثلين الذين يسود على مجموعهم الانسجام والتوافق وفى مقدمتهم الممثلة القديرة مرجريت مورينو وقد تقدمت بها السن الى ان اصبحت تمثل دور العجائز وقدقامت بدور عبله ، ودراجون وقد توفى بالانفلونزا منذ بضع سنين وقد قام بدور عنترة ، وموتتو وقد مثل دور وزر المعروف بالاسد الرهيص .

ومن الغريب المدهش انهم حفظوا الرواية واخرجوها واعدوا مناظرها فى خمسة عشر يوما وقد سحروا الجمهور بابداعهم النادر وكانت الرواية موفقة من جميع الوجوه

اشتهرت مورينو بحسن القائها ونبرات صوتها الموسيقى وكانت تلقى الشعر بسهولة وهى تقلد ساره برنار وتضيف الى ذلك قدرا كبيرا من شخصيتها الخاصة وعواطفها المتأججة وحركاتها الخالية من كل تكلف ، ورشاقتها النادرة وظرفها فى الحديث . وقد مثلت دور ابن نابوليون فى النسر الصغير وروكسان فى سيرانو دوبرجيراك . وقد فتنت النظارة فى هذه الروايات الثلاث ولم يستطع أحد من الاجواق أن يحرز هذا النجاح من سنة ١٩٠٩ الى الآن

مثلت رواية عنترة للمرة الاولى بمسرح الاوبرا الملكية . ثم مثلها مسرح الاوديون بباريس فى ١٢ فبراير سنة ١٩١٠ فلاقت اعجابا شديداً ونجاحا باهراً وقرظتها أغلب الجرائد الفرنسية الشهيرة مثل الفيجارو والجولوا والاكلير والدييا والطان واللبيرتيه ومجلة التياتر المصورة والاوبنيون كما قرظتها وذكرت ملخصها دائرة معارف لاروس فى ملحقها الشهرى سنة ١٩١٠ . وهى تستحق أكثر من هذا لبلاغتها النادرة وتفكيرها العميق وتحليلها الاخلاق ومناقشاتها الطلية وعواطفها المشتعلة ورقتها ومواقفها الفنية الرائعة

ومن سمو اخلاق شاعرنا النابغة ونبل عواطفه أنه انبأ فى القطعة التى أوردناها عن اقتراب ظهور النبى (ص) وما سيكون له من شأن خطير كما نوه باعجابه الشديد ببلاغة القرآن بعبارة تستعصى بلاغتها على أى شاعر مع أنه مسيحى فجزاه الله خيراً ورحمه رحمة واسعة

المنظر الثالث

من الفصل الرابع

عنترة . ثم شيبوب . ووزر بن جابر الملقب بالاسد الرهيص

(يدخل عنترة فى الحال)

هل هو عربى ؟ لا ... كان الخائن مختبئا فى الظلام وراء هذه الصفاة كالذئب ، ولابد ان يكون اجنبيا

(يسمع صوت شيبوب من بعيد)

هاهو ذا شيبوب ، هل يقوده ؟ لانى أرى شبحين

شيبوب (يتكلم بصوت مرتفع)

تقدم !

(ثم ينظر شيبوب وهو يجر وزرا من يده)

لقد قطع الخوف ساقيك ! وعز عليك البقاء فودع اذن الحياة

(مخاطبا عنترة الذى يقترب منهما)

لاجدال ولاريب ! فانه يستر وجهه ! وعيناه لاتخترقان حجب الظلام الا لرمى السهام ، وسيطفىء الموت شعلتيهما بعدقليل

بجره بجانب عنترة وهو جالس على صخرة وكان شيبوب يتكلم وهو سائر حتى يصل الى عنترة)

لاتبصران الصخور ولا الخائل ولا الجحور حتى انني كدت ان احمله

عنترة ـ لكنه يحسن الهرب !

شيبوب ـ لا ، انه لم يهرب وكان جالسا على مقربة من صفاة، وقد طعن نفسه بسهم عندما اقتربت منه ؛ وترى هنا قليلا من الوضوح فانظر !

(ثم يزيح شيبوب اللثام عن وجهه ويحدق فيه)

آه ! وزر !!

عنترة ـ وزر ! أتحلم ؟ كلا !

شيبوب ـ هو بعينه

عنترة ـ الفارس المختال الذي عرفته من قبل ؟ (ثم يحدق به هنيهة) نعم نعم ، كيف تكون خائنا ؟ أقبلت فى الليل الدامس لتقترف اثما ملؤه النذالة والصغار ، ولم ير مثله فى البلاد العربية ! هل بلغت بك السفالة ان تفعل فعلتك هذه ؟ ما ذا عملت بقناتك وحسامك ؟ لقد أحسنت بستروجه دمغ بميسم النذالة والجبن . ما أبشع هذا الوجه الدميم . أتنهض وترفع عينين باردتين ملؤهما الخجل والخزى ؟ أم يتلهفان لاقتراف جرم آخر ؟ تكلم .

وزر ـ عيناى فارغتان وقد استعضت عنهما بقلب ملىء حقداً !

عنترة ـ ولم ؟ وعلى من تحقد ؟

وزر ـ لا تتجاهل وما هو الا عليك !

شيبوب ـ ما ذا تقول ؟

عنترة ـ دعه ! ويلزم أن يوضح هذا الرجل . أجب !

وزر ـ أنظر إذن ! هاهو جوابى ! هاتان العينان الخامدتان المفقوأتان كأنهما حجران أسودان كئيبان ! آه ! انك تسمينى النذل ياعنترة وما النذل الا أنت !

شيبوب ـ قد بلغ السيل الزبى !

عنترة (وهو يزيح شيبوب عن وزر)

انى أجهل أمرك ، ولقد أسرتك من قبل وأنا راع صغير الشأن وأنت فارس مدجج بسلاحك ثم سافرت فى مساء ذلك اليوم وسلمتك الى غيرى ولا أعلم ما فعلوا بك فى غيبتى وأنت أسير

وزر ـ ألم تك أنت الذى أمرت أن يفقأوا عينى ؟

عنترة (وقد غير لهجته شيئاً فشيئا)

كلا ! فانى لا أعرف أن أسيء إلى ضعيف . أما كنت أستغرب ما حصل لك منذ هنيهة ؟ وكيف لى وأنا الذى ما زلت أحارب ورائدى الشرف ومبدئى النبل أن تعزو الى هذا الجرم الفظيع دون عـــذر أو مبرر . أو يتهمنى به عدو مقهور موتور نهش صدره الحسد . انى فتنت بالحروب وهى صناعة كثير من الملوك ذوى الحول والطول وغيرهم من السادة الامجاد الذين لا يستطيعون أن يشقوا لهم طريقا إلى الافئدة ويعتقدون أنهم بالغوها بظبا البيض الصفاح ، وهذا خطأ ظاهر وما فتىء الانسان عرضة للخطأ

أيترك الانسان حنقه ليبطش بالمقهورين ويخفى أرواحهم من أعماق جفونهم ويسلبهم حقهم فى هذا النور حتى يجعلهم امواتا وهم احياء كلا ! ثم كلا ! واقسم بهذ الهلال الصيرفى الذى بزغ فى السماء ، انى لا أستطيع أن اقترف مثل هذا الاثم . إنهم يريدون أن يلوثوا اسمى بمثل هذه الريبة ويجردونى من الخير الوحيد الذى يقود الى المجد والفخار وهو الطيبة ... فهل تثق بى اذن ؟

وزر ـ أثق ؟ ... نعم ! ... أود أن لا أثق ، انى ابحث فى قلبى وافتش فى ذاكرتى لان عندى اسبابا اخرى أهم وأقوى تبرر بغضك ! ... مهلا ! ... (يناجى وزر نفسه على مسمع من عنترة) ان كان ترك لك عينيك ولم يكن لك جلاداً فهل كف ان يكون خائنا لكل عربى يحب حريته واستقلاله . انه يريد أن يبيع ويسلم بلاده الى الفرس ،

(ثم يوجه الكلام الى عنترة) وهذا ما أعرفه منذ أكثر من عامين ، لقد كبر وعظم جرمك حتى برر كل اعتداء واغتيال وسحب ذيل النسيان على الجريمة التى كنت ضحيتها ، والعربى لا يحفل بفقد عينيه وموته فى سبيل انقاذ بلاد العرب !

عنترة ـ هل نصبت نفسك حكما ؟

وزر ـ (وقد اطمأن شيئا فشيئا) لقد حكمت نفسى بكل الوسائل من سلاح وقول وكل مايصلح للقتل والانتقام ، أما ترانى اذن جريئا سفاحا ؟

عنترة ـ عجبا لك ! كيف يعرفون ان يشوهوا الحقيقة الحسناء ! يخفون صورة الجمال تحت كثيف البراقع والاصباغ كالعجائز ينقشن وجوههن بالوشم ويتكحلن ويصبغن خدودهن بالحمرة . يريدون ان يزيدوا الجمال حسنا فيشوهونه . يجب ان تغمره الشمس وهو فى صحة عربية فيتركونه فى بساطته ووداعته ويزيلون هذه الصبغة الدميمة التى تحجبه

أصخ لى ياوزر : فانى ساجعل جمال الحقيقة ولونها الوضاح يخترقان جسمك الى ان يبلغا نفسك السوداء وسوف اقتل فيك الريب والشك بكلمة . اما كنت فيما مضى صديقا للملك المنذر

وزر - انا ؟

عنترة - نعم انت ! وتعلم جيدا مقاصد هذا الملك

وزر - (بلهجة مرة)

بلى ، وهى وحدة العرب فى يد ملك فرد ، وهذا صحيح ، ولكن ذلك لم يكن الاحلما لذيذا

عنترة - ماهو الآن بحلم

وزر - و كيف ؟

عنترة - لقد تخلص وتحرر من نير الفرس وسأنضم اليه الآن . . .

وزر - تنضم اليه ؟

عنترة - وستظهر حكمة فرد آخر كطلوع الفجر ويؤيده الله بقوته فينشر قوله الابدى . الاتشعر بالارض وهى تميد قبل انتشار هذا القول الذى سيمليه على الناس رب قوى عظيم . لقد زلزلت الارض زلزالها واهتز النخل فى الصحراء من عبث رياح السماء اللواقح ، وأصبحت آمال الانسان تتتابع مسوقة بنسيم الصبا كأسراب هائلة من نبات الهديل تنشد ايكا تحط عليه لتريح اجنحتها المتعبة فلا تعثر عليه . تسير تلك الاسراب حيارى مترددة لارائد لها الا المصادفات : ولكن المغرب سيتوهج شفقه بزخرفه وقد اقترب الزمن الذى ستتصل فيه الارض بالسماء حتى يسمع اهل الدنيا كلام الله الكريم ، كلاما ذهبيا فى إطار الالفاظ اللجينية ، وستهب قبائل العرب من كل فج عميق من فيافيهم المترامية الاطراف وقت طلوع هلالهم الفضى المتألق ... !

(ينوه فى هذه الفقرة عن ظهور النبى (صلى الله عليه وسلم) ونزول القرآن)

وزر - اواه ! انى لاشعر باستنارة أمارتى بالسوء باحمرار الفجر وضوء اللهب ! صبت عليكم اللعنات يامن خدعتمونى ! لقد قطع سهمى خيط حياته الذى تتعلق به آمال اسلافنا وهذا الخيط الذى انتظمت فيه حبات المستقبل ! يالكم من خونة مجرمين ! وان قبره ستدفن فيه بلادى ! عفوا وغفرانا !

عنترة - لقد عفوت عنك وسامحتك ولكن هذا الجرم سيقع على من حللوه وان اثمك قد خط فوق الرمال وسرعان ما تمحوه الرياح ، ولكن الجرم المحرض سيلاقى جزاءه فى القريب العاجل إن امتد الاجل ، وإنى أحمد الله وأمجده وآمل أن يكون الجرح خفيفا . . .

وزر (بلهجة قوية وأنفاس مضطربة)

ما ذا تقول ! هل أصابت طعنتى ؟

عنترة - لقد أصابت ذراعى وليس لها أقل تأثير

وزر (وهو هائج)

انها لعظيمة خطيرة ! فاسحقنى بحجر من هذه الاحجار كما تسحق العقارب والأفاعى ! ادفعنى بقدمك بكل ازدراء واحتقار فانى لا أستحق أية رحمة ولا شفقة ! انى لتعس شق ! وإن جرمى لعظيم لم يخط فوق الرمال . لقد نقش نقشا عميقا فوق جسمك الكبير الذى يماثل النحاس بصلابته بآلة الحقد والحفيظة ! فاسحقنى سحقا !

عنترة - ولم هذا اليأس ؟

شيبوب - انى خائف !

وزر - هل اسود الجرح ؟

شيبوب (وهو يزيح الثوب عن الجرح) نعم قد اسود !

وزر (وقد كشف عن صدره لشيبوب) انظر هل اسود جرحى مثله ؟

شيبوب - لا يفترق عنه

وزر (وهو خائر القوى)

هذا هو المنتظر ! ولا يغنى حذر من قدر ، أى عنترة ! قد اشتريت جرمى بحياتى وانى أريد نجاتك ولا أستطيعها لأن سهمى يحمل السم الزعاف بين أسنانه . . .

شيبوب - ويل لك من شق ! ألا تجد له دواء ؟ . . .

وزر - هيهات هيهات !

شيبوب - ولو يقف سير السم

وزر - لا ينجع فيه دواء

شيبوب - ولكن الادوية كثيرة جداً

وزر - كلا ! إن سمى لا دواء له وهو يندفع كالسيل وهو هو الذى يقتلنى . انى أعالج سكرات الموت يا عنترة فاصفح عنى وسامحنى !

عنترة - مت بسلام واطمئنان !

وزر ـ ما العمل الآن ؟ ويل لى من شقى ! لقد نسيت ! اسرع عنترة وفوت مالك وزوجك ورجالك من هذا المضيق ، فان عمارة الوغد الذى قادنى الى هذا المكان يتربص لقتلك .. ومعه مائتان ... وسيمرون من هنا

عنترة ـ انى مازلت قويا قائما على رجلى فقل لى اين هم ؟

وزر ـ كلا ، فلات ساعة لحاق يا عنترة والافضل الهرب ...

عنترة ـ الهرب ؟

وزر ـ ليس لك ! فلا فائدة لك منه ترتجى ... ولكن الآخرين فهربهم وان ساعدك لكفيل بتهريب زوجك وعشيرتك . . . فعجل دون أن تنتظر ان يكفر موتى عن حياتى ...

شيبوب ـ اواه ؟ إنك لن تموت

عنترة ـ لم يرد الموت ان يدركنى فى الحروب!

شيبوب (مهددا جثة وزر) ويل لك ايها الخائن !

عنترة ـ (يمنعه) ولم هذه الاساءة للموتى ؟ فليتم بدعة وسلام ! وان موتى لن يختلف عنه فى الاجل والشكل وسيموت كلب ضال وهو فى عنفوان قوته دون أن يثب الوثبة الهائلة ليصل الى الماء وينهل الحياة . ولماشحب لونه وأسلم روحه الصغير ومن يعلم لاى جلاد ؟ . . مات من غلته أمام خرير الماء . كلا فانى سأثب هذه الوثبة مهما حل وحصل ! وسأحيا ! ! ! وسأحيا ! ! ! اذ لا بد أن أحيا . أوقد النار ياشيبوب واصهر حد السيف او الرمح فان السم مهما بلغ امره فلا يقوى على الحرق اذا ماتعدى الجرح وان مت فسأموت مختالا فخورا . ويخيل الى وقتئذ انى قتلت بالحديد

(وقد اسرع شيبوب فى ايقاد النار بقطع من الخشب ثم وقعت عيناه على جثة وزر) ولكن الآخر مات بنفس الجرح وقد سرى السم فى جسمه واصبحت جثته بمثابة نذير ! إلهى انما انا عبدك وخادمك ! انى أسعى وأعمل لك فلا تمتنى هذه الميتة بل على الاقل فى الموضع الذى ينتظرنى فيه الحصار ! يالهذه الجثة ! إنى وجل ! وعيناى تطرفان امام الموت كما تطرف اجفان المولود الجديد من الضوء . ما انتابنى قط الخوف فكيف حل بى الآن . واذا كان الانسان فى الحروب مقداما جريئا فهل يكون دائما فى كل المواقف ؟

(ثم يسوق الكلام الى شيبوب) هل تمكنت من مشاهدة عبلة وتطمينها ؟

شيبوب ـ انها نائمة وتنتظرك وهى واهية القوى من وعثاء الرحيل والتأثر والفضل لسلمى فى تهدئتها

عنترة ـ ما أعزك على ياعبلة !

شيبوب ـ لقد احمر النصل

عنترة ـ يجب أن تضع النصل المصهور فى الجرح دون اضطراب وارتعاش فان حياتى معلقة به

شيبوب ـ واأسفاه ! ستألم كثيرا

عنترة ـ كلا ! احرق ! احرق فانى لا أحب أن أموت (ثم يعرى عنترة كتفه فيكوى شيبوب الجرح)

ثم ينزل الستار

الفصل الخامس

عنترة وشيبوب

يأتيان من المعسكر والوهن باد على عنترة وهو متوكىء على كتف شيبوب

شيبوب ـ نعم ، لقد بدد صوتك الشك عندهم والباقون سيستعدون لموالاة سيرهم

عنترة ـ ولكن هذا يوم الراحة الذى وعدوا به

شيبوب ـ لم أقل عنه شيئا البارحة ، وقد ارجأت البت فيه الى هذا الصباح

عنترة ـ الايدهش أحد من هذا السفر السريع ؟

شيبوب ـ كلا وفضلا عن هذا فلا يعلم القريبون منا ولا البعيدون بمصابك .. هل تشعر بتحسن ؟

عنترة ـ ان نسيم الصباح يطفىء قليلا الحمى ؛ والكى وحده الذى يؤلمنى .. هل دفن ميت البارحة ؟

شيبوب ـ اجل ، هناك بجانب تلك النخيلة

عنترة ـ ان الموتى مهما بلغ امرهم لهم الحق فى الراحة . ولننتخب الآن المكان الملائم لمشروعى ... هناك ! لا .. بل بجانب تلك الهاوية فانها مكان مكشوف قليلا .. ويجب ان يتمكن العدو حينما يصل من رؤية عنترة حيا أو ميتا . والآن ايها الرفيق والاخ يجب ان نفترق فى هذا المكان ولترجع من هذا الطريق الذى كان بالامس طريق الامل ؛ أما أنا فسأتمم حياتى وواجبى

شيبوب ـ الا تريد اذن أنوب عنك

عنترة ـ ولم ياشيبوب يحدث موتى ارتباكا فى سير الامور ؟ وتصبح عبلة وسط هذا الاضطراب دون ان تتمكن من الوصول الى

الملك ؟ لا ! بل يجب ان ينفع حتى رجالى وعشيرتى ومجدى ويترك نقطا من الابريز الوهاج فى صفحات تاريخى !

شيبوب ـ ولكننى سمعت ان المنذر من علماء الطب فتعال ! تعال ! ومن يدرى ؟

عنترة ـ لقد فات الوقت ، إذ بيننا وبين المنذر ثلاثة أيام ولقد مات وزر بسرعة ولا مرد للقضاء .

شيبوب ـ نستطيع أن نؤخره بجهد عظيم !

عنترة ـ لا يمكن تأخير ساعة الموت ، ولم هذا الجشع الذى ينقص الكرامة ويسقط الاعتبار . وصباح حافل بالحوادث خير من يوم عظيم خال . . . .

أتبكى ؟ ومتى كانوا يبكون فارسا سقط عن جواده فى ميدان المجد والفخار ؟

شيبوب ـ اننى أبكى قومنا جميعا ، أبكى بلادك وأمتك وكل ما سيموت بموتك . عفوك اللهم وغفرانك !

عنترة ـ إن مستقبل الأمة والبلاد لا يتوقف على فرد ولو كان فارس الزمان أو كان ملكا دانت له الدنيا من أقصاها إلى أقصاها ولا شىء يقف تقدم أمة . اننى أراها ترقى وتتقدم من المشرق إلى المغرب فى ازدهاء كسف الكوكب الذهبى فى فلكه . ولا يهم النسور المختالة حتى الخطاطيف ريشة تزيد أو تنقص من أجنحتها القوية !

شيبوب ـ كلا ياعنترة ! فان هذه الفكرة لا تنطبق على ذويك !

عنترة ـ حتى ذوى ! إذ سيكون ألمهم شديدا ينفذ الى سويداء قلوبهم . وكل شىء فى الدنيا يتألم حينما يولد او يخلق حتى الحبة تتعفن قليلا قبل ان تنبت وما الحياة الا ثمرة شجرة الموت . إذهب وارحل فلربما رأيتنى فى يوم قريب وسأظهر لك مرة ثانية فى الخيط الاسود الذى يخطه موتى فى الموضع الذى مر فيه الزارع . وستنبت تحت قدميه الحبة التى بذرها

سافر واسهر عليها واحرسها ايها الصديق والحارس الامين ، ومن يدرى ماذا سيكون شأن المولود الذى ستلده

شيبوب (وهو ناظر الى جهة المعسكر) اذهب وكن على رأس الجند ومر من المضيق !

(عبلة آتية من المعسكر وهى تعدو وشيبوب وراءها . اواه) (عنترتى لقد فهمت كل شىء وحدثنى به قلبى . لا تمكر على فان قلبى لقلب بطلة ولو انه تالم كثيرا ولكنه يستطيع ان يستمر فى ألمه

(ثم تقع على قدميه)

اننى لا أتألم اذا شاطرتك حظك ، اما انا ظل ارتبط بظلك ؟

عنترة (وقد غالب آلامه)

هذه زهرتى المسكينة قد أضجعها إعصار وهى مثقلة بماء السماء . انهضى فان الشمس ستشرب وهى منحنية عليك عبرات حبك . لقد بدد الحديد المصهور كل خوف وانى لاشعر بخفة وطأة الموت وأكاد افلت من مخالبه . وانك تستطيعين يا عبلة أن تذهبى وانت مطمئنة مرتاحة البال (ثم يقول بلهجة حنان وتأثر) هذا واجب عليك ، وان لك غرضا يجب أن يكون نصب عينيك ستبتهج له نفسك وهو امل عظيم يتوج المرأة ويولد الغد من اسراره الخفية . . . وحبذا لو نضجت ثمرة حبنا يا عبلة . وان مت وجب عليك أن تضاعفى حبك لهذا المخلوق الصغير (ثم يبتسم) ولكن ما العمل ؟ وكأنى احزنك واقطب جبينك واسعد عبراتك ، ولكن كل شاعر حزين الفؤاد ولو من غير ما داع ولا سبب

عبلة (تنهض وهى منهوكة القوى مصعدة الزفرات) سأرحل ولكنك لا تخدعنى ، واعلم أن كل لحظة أو خطوة تبعدنى الى الأبد عن وجهك ونظرك المملوء بالعطف والحنان ، ولا تقل عنك شجاعتى وسأذهب طائعة ، وأتمنى أن ألد ولداً يثأر وينتقم لأبيه !

وإنى أحب الحياة لاجلكما . وهل يساعدنى الحظ على نيل هذه الأمنية ؟

عنترة ! إننى كالسكران من هذه الضحية وذلك الألم . فالوداع الوداع ! وآمل أن لن تلين عبراتى من قناتك (ثم يتعانقان)

عنترة ـ الوداع الوداع يا ابنة الأمير النبيل سلالة الابطال الاماجد الذين يقابلون الاهوال بعيون كعيون النسور القشاعم ، ان دم أسلافك لا يكذب كما يصدق دم راعيهم القديم الذى نال الشرف اليوم

(ثم يصطحب شيبوب عبلة)

اذهبى ولن ترحلى وحدك ياعبلة ، ان نفسى لتشيع خطواتك وسأجعل نصب عينى الساعات والايام التى نسجت منذ طفولتنا خيوط حبنا وسأبذرها فى الهواء لتكون ذرات حياتى هذه لك بمثابة حرس عظيم ! ثم أحرسكم جميعا فيما بعد من اعالى السماء .

(ثم يعود اليه شيبوب)

شيبوب ـ يالك من مسكين . ! يجب ان تلحق بها فى أقرب وقت . هيا بنا فاننى تام العدة والسلاح ، وهذه آخر واقعة اخوضها ويلزمنى ان استعد لها كالفوارس البواسل وأتلقى الطعنات الى ان اقع مضرجا بالدماء .

(البقية على صفحة ٢٨٠)

الكتب

أهل الكهف

قصة مسرحية للأستاذ توفيق الحكيم

بحث وتحليل ونقد بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

تتمثل حياة الشرق فى كتابين : القرآن الكريم ، وحكايات ألف ليلة وليلة . فالأول يهدى الى ما يجب ان يكون ، والثانى يصور لنا ما هو كائن واقع . يعالج أحدهما من طريق الوحى الدينى علائق الانسان بالله والمحدود باللا محدود وموقف البشر حيال المسائل الخالدة التى تفوق مداركه ولاتنى تعذبه . ويستعرض الآخر لعياننا وأخلادنا صوراً حية تترى وتترى ، مؤنسة كل الايناس مؤثرة أبلغ التأثير ، لزحمة الحياة ، والوان المجتمع على اختلاف شياته وتعدد أصباغ نسيجه ، وانماط الناس ، ومطالب العيش ، ودوافع الغرائز المعقدة المتضاربة ، ومسارب الأحاسيس العميقة الغامضة

وقد عمد الاستاذ توفيق الحكيم الى هذين المرجعين من الحكمة الالهية ومن الحكمة البشرية . فاستوحى من الأول قصته المنشورة عن أهل الكهف ، واستأنف من الثانى قصته التى لم تنشر بعد عن شهرزاد . فكان اختيار المؤلف ، الحكيم ، أول عناصر نجاحه .

وسيقتصر كلامنا هنا بطبيعة الحال على القصة المنشورة ، أهل الكهف ،

عمل الفنان

لأجل ان نرد ما للقيصر لقيصر وما لله لله ، نسوق ملخصا لشرح البيضاوى للسورة الكريمة . وظاهر من هذا الشرح أنه كل ما اعتمد عليه مؤلفنا فى قصته التمثيلية البعيدة الغور

هم فتية من أشراف الروم ، أرادهم دقيانوس الجبار على عبادة الأوثان والشرك بالله ؛ فأبوا وهربوا الى الكهف ، وقد مروا فى هربهم بأحد الرعاة فتبعهم وتبعه كلبه ، وكان دخولهم الكهف غدوة وألقى الله عليهم سباتا سنين عدة : اختلف الناس فى عدتها ، فقالوا ثلاث مائة ؛ وزادها غيرهم تسعا ، والله أعلم بما لبثوا . وظلوا على الحال التى كانوا بها تحسبهم أيقاظا وهم رقود وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد . ثم قضى الله انبعاثهم ، فانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم فى يومهم أو اليوم الذى بعده ، فلما نظروا طول أظفارهم وأشعارهم التبس عليهم الأمر وأعياهم علمه . فاختلفوا فيما بينهم ، وبعثوا أحدهم إلى المدينة ليأتيهم بطعام على أن يتخفى ولا يشعر بهم أحداً لخوفهم أن يظهر رجال دقيانوس عليهم فيرجموهم أو يرغموهم على الشرك . فلما دخل المبعوث السوق وأخرج الدراهم وكانت مضروبة باسم دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزا . فذهبوا به إلى الملك وكان نصرانيا موحدا ، فقص عليه القصص . فقال بعضهم ان آباءنا أخبرونا أن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء . فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم . ثم قالت فتية الكهف للملك نستودعك الله ورجعوا إلى مضاجعهم فماتوا . فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليه بيعة . والاقوال مختلفة فى عددهم فمنهم من قالوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، ومنهم من قالوا خمسة ، ومن قالوا سبعة . ويروى أن أسماءهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا وهؤلاء أصحاب يمين الملك ، ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره ، وكان يستشيرهم . والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبه قطمير . واسم مدينتهم أفسوس وقيل طرسوس

هذه هى المادة الأولية التى أتيحت للمؤلف فانظروا كيف صارت فى يديه ، وكيف نحت فيها هذه المجموعة من التماثيل الحية وأقام منها هذا الأثر القصصى

لقد شاء له الفن أن يأخذ بقول الزاعمين أن فتية الكهف ثلاثة وآثر الاقتصار عليهم حتى لا يتوزع اهتمام القارئ أو الناظر ، فيضعف التأثير وتقل المتعة فحسب الفن اثنان من مستشارى الملك والراعى . وارتأى أن تتقدم السن بأحد هذين المستشارين ويكون

الوزير الأول ، أما الثانى فيكون فتى فى ميعة الشباب وريعانه . ثم يشاء الفن القدير ان يجعل للوزير زوجة وولداً كان يخفى أمرهما ، وأن يجعل للفتى حبيبة فى الخفاء هى ابنة الملك ووحيدته . وقد اعتنق الرجـــل دينه الجديد حبا فى زوجته المسيحية ، كما أن حب سليلة الاباطرة للفتى المسيحى حبب اليها دينه . فاذا قاما من سباتهما وقد تفترت من طول الرقاد أوصالهما ، كان لهما من العلائق القلبية ما يذكرانه فتنازعهما النفس إلى طلب الخروج من الكهف ، ويختلفان فترى الفتى نزقا كعادة العاشق المشوق ، أما الزوج فحذر كظيم شأن رب الأسرة المسئول . ويشاء الفن أيضا ان تكون ابنة الملك فى عصر انبعاثهم شبيهة كل الشبه بابنة دقيانوس حتى يطول وهم صاحبها وأما الراعى فلا تطول خديعته ، فما هو إلا أن افتقد غنمه فلم يجدها ، ورأى أبناء هذا الجيل على غير عهده بهم سمتا ولهجة وزيا ، حتى اتضحت له الحقيقة ، وثقلت عليه الحياة فعاد زاهدا فيها الى رقدة الكهف . ثم تبعه الوزير ثاكلا متفجعا باكيا وقد علم موت زوجته ومصرع ولده كهلا منذ دهر طويل فى حومة الوغى وميدان الشرف . واخيرا الفتى العاشق وقد تبددت أحلامه ، وبدت لناظريه هوة الزمن السحيقة تفصله عن المرأة التى يحبها .

وهكذا دخل الفن على العبرة القصصية فخرج منها ـ كما يرى القراء ـ بآية فنية

التحقيق التاريخى

لم يقصد المؤلف بروايته وجه التاريخ . ولا أظن به طمعا فى أن يكون مؤرخا . وهيهات ايضا لكاتب هـذه السطور أن يدعى لنفسه هـذه الدعوى العريضة . بيد أنه لما كانت القصة التى نحن بصددها لها صلة بالتاريخ ، فلا مراء فى أن الدراسة التاريخية هى على الأقل من مستلزماتها

ولقد راجعت القليل من المراجع فى التفسير ، ومن معان التاريخ الموضوعة فى العربية ، ثم انتقلت الى غير الكتب العربية مما هو موضوع فى تاريخ الامبراطورية الرومانية ونشأة المسيحية بغض النظر عن مؤرخى الكنيسة من رجالها . فاذا مؤلف اهل الكهف لم يسلم من نقص فى هذه الوجهة وأخطاء قد لايكون لها خطر فى صميم الفكرة ، بيد أنه كان من المستحسن على كل حال تداركها لو تكلف قاصنا المسرحى اليسير من العناء فى التحقيق التاريخى

فقد زعم أن العاهل دقيانوس هو صاحب عصر الشهداء أى ديوقلاسيانوس Diocletianus لتقارب النطق واحتمال التحريف فى تعريب الاسماء الاعجمية عند العرب . والحقيقة أن دقيانوس هو ذوقيوس كما يلفظها البعض أو دسيوس Decius عاهل الرومان الذى حكم من عام ٢٤٩ الى العام ٢٥١ بعد الميلاد . وكان مع بسالته وحسن تدبيره شئون الملك شديدا على النصارى ، فنقض ما كانوا فيه من أمان وسكينة ، وأجمع العزيمة على سحق المسيحية . فكان شديد الكراهة للبطارقة وكان كل مؤمن فى ملكه الواسع رهنا بالسجن والتعذيب ، وقد شاع لعهده التفنن فى التعذيب بالجوع والعطش . واشتدت اضطهاداته فى سنة ٢٥٠ ميلادية فلم تعد وقائع مفردة بل أوامر عامة وتدابير منظمة . ولعل فتية القصة هربوا الى الكهف فى هذه السنة

ثم إن أكبر فتية الكهف هو مكسلمينا . والأجدر بالمؤلف اتخاذه بدلا من مرنوش . كما أن أجملهم وأجلدهم تمليخا فلا محل لاطلاق اسمه على الراعى وحسب الراعى أن يدعى راعيا

كذلك لانستسيغ تسمية الوادى الذى به الكهف فى ظاهر المدينة بالرقيم . لاننا أميل الى قول المفسرين بأن الرقيم إشارة الى لوح من الحجر أو الرصاص عمد اليه رجلان مؤمنان من بيت الملك ، فكتبا فيه شأن الفتية ورقما أسماءهم وأنسابهم ، وأودعاه فى تابوت من نحاس مختوم بخاتم من فضة ، وجعلاه على باب الكهف

وأما المدينة التى كانت مسرحا لوقائع القصة فليست طرسوس كما استحسن المؤلف استنادا الى قول فى البيضاوى بل هى مدينة أفسوس Ephesus كما ذكر ذلك البيضاوى نفسه وعليها أجمع المؤرخون والمفسرون من المسلمين ورجال الدين من النصارى ، ولا عبرة بوهم واهم من المفسرين زعم ، أن مدينة أفسوس هى طرسوس وكان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس ، فقد ساقه الى هذا الخلط جهله بتلك المدينة الدائرة إطلاقا ، واقتصار علمه على طرسوس التى فتحها العرب ، ولقد عمد فى حيرته الى قطع العقدة بدلا من حلها ، فقطع بأن المدينتين واحدة ، وشتان ما بينهما فى موقعهما الجغرافى وماضيهما التاريخى

ومدينة أفسوس قديمة ، وبها للمشركين هيكل لأحدى آلهتهم

أرتميس Artemis (أو ديانا Diana) وحرم لتمثالها المقدس .

وهذه الربة هى الأم العذراء للحياة والانتاج . وكان لأهل المدينة ولع بعلوم السحر والكهانة حتى بعد انتشار النصرانية فيها . وقد اشتهرت بأوليائها وشهدائها . وقد زعم القوم أن مدينتهم كانت الموطن الأخير لمريم العذراء وأنها دفنت بها ، ومع هذا فأن اعتقادهم فى أرتميس الأم العذراء أيضا لم يزل قائما قويا . وقد كان من حق أفسوس على الاباطرة الرومان ان تكون أول مدينة ينزل بها ولاتهم على آسيا وأن يتقلدوا فيها مقاليد الولاية . وأفسوس معروفة بكثرة ماخلفته من نقودها المضروبة المتنوعة وما على سكتها من بديع النقوش وطوابع الحكام .

وأخيراً يحسن تعيين الملك الذى انبعثت على عهده أهل الكهف وهو امبراطور الدولة الشرقية المسيحى تاودو سيوس الصغير Theodosius 2 وحكمه من عام ٤٠٨ الى عام ٤٥٠ ميلادية . وكانت قد فشت فى زمانه بين الناس بدعة القائلين ببعث الارواح دون الأجساد ، فجاءت معجزة الكهف تفنيداً لهم وآية على قدرته تعالى وكان هذا الملك فى أول حكمه قاصراً ، يدير الدولة باسمه القاضى أنتيميوس Anthemius ثم تولت القوامة عليه اخته بولكيريا Pulcheria ، فدرج بعنايتها على الصلاح ودماثة الخلق والنزاهة وحسن الفكر والروية . وبولكيريا اسم تاريخى يصلح بدلا من بريسكا فى رواية المؤلف بعد تبديل بسيط

ونقف عند هذا الحد لنقول أن الرواية لاتخسر بهذا التحقيق التاريخى شيئا . ولعل الأستاذ الحكيم لو اطلع على معظم التفاسير والتواريخ من عربية وغير عربية فى هذا الموضوع وحوله ، لصدقنا فيما نذهب اليه من أن روايته الكبيرة تكسب عظمة من وجود هذه المواد فى يدى صناع مثله ، وأنه كان بهذا التشبع بالتاريخ قمينا بأن يفرغ عليها الى جانب ذلك السنا الفلسفى والضرام العاطفى والروح الانسانى لوناً محليا ظاهراً يصبغها فى غير تكلف منه أو تعمل ، بطبيعة المناخ الأســيوى ، وبذلك المزيج من الحس الوثنى ، والتصوف المسيحى .

(له بقية) عبد الرحمن صدقى

عنـترة

(بقية المنشور على صفحة ٢٧٧)

شيبوب ! ياأخى وزميلى فى الحروب ! لتتعانق دون ضعف أو أسف لايجدى ولا ينفع ، وعيون جامدة لاتعرف أن تدمع

(ثم يطيع شيبوب اشارة عنترة وهو يكظم زفراته ويذهب)

ساموت الآن بغير شهود ونعم مافعلت . انى استطيع الآن ان اعبر عن آلامى ويتسنى لعينى ان تبكيادون أن تسيل عبرات الآخرين. لقد خارت قواى ولكنى ضاعفت قواكم ولن يرى احد منكم ضعفى و آلامى . (ثم يخترق شعاع من الشمس المشرقة سحب الضباب المربد وينير وجه عنترة)

والشمس لاتفترق عنا اذ تولد ثم يراها الناس وهى تموت . ايتها الشمس اذهبى الى ذوى واقصى الى مو كبهم وقولى لهم بانى احميهم فى الحياة وفى الممات . الوداع يا أمانى الحب والمستقبل الزاهر اواه ! انى اشعر ان البرد يغير على شيأ فشيأ وقد اضطربت عيناى ، ماذا دهانى ! هل هذه وطأتك ايها الموت ! مهلا مهلا ! فانى انا الذى اهاجمك واشد عليك دون وجل . لامتط الجواد والرمح فى يدى كما كنت من قبل ! ساجبرك ان تخضع لامرى وسيقود ذراعى سيرك الاعمى الاحمق

(ثم يعلو جواده وهو فى الرمق الاخير) والآن تفتح روحى جناحيك فطر وحلق . يخيل الى انى انام نوما هادئا وأرى سربا من الطير آتيا من المشرق ! . . . يقترب منى ويحيط بى ثم يذهب ويعود . ولكنه حياتى باجمعها التى تضمنى كا كفان نسجتها الايام التى عشتها . ايام الامل والحب والحرب ، ان الماضى يعرض امامى وارى اول الكفن : اى ايام الطفولة ! ان خيوطك لمن خز وعسجد وانت وحدك اللامعة الزاهية ! اننا ننسج بايدينا أكفاننا ، وهذا كفنى يطويه الموت باصابعه ! وهو يدفننى فى طيات حياتى ! . . . لا تتحرك ياعنترة . . . يجب ان يراك العدو حينما يقبل مستعدا للكفاح . . .

(ثم يسلم النفس الاخير ويميل رأسه ويبقى جسمه منتصبا معتدلا مستندا ذات اليمين الى رمحه وذات اليسار الى الصخور القائمة وفى هذه الآونة يأتى الرجال شاهرين رماحهم وسيوفهم وعلى رأسهم عمارة بن زياد فيلمح على حين غفلة عنترة وقد اضاء وجهه شعاع الشمس المشرقة فلمع سلاحه وهو راكب جواده)

عماره ـ آه ! إنه لحى لم يمت !

الباقون (وهم يولون الادبار مذعورين) حى !

ينزل الستار محمد كامل حجاج